دور المجاورين في إثراء الحركة العلمية بمكة المكرمة
خلال القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي

إعداد

د. أميرة بنت علي مداح

أستاذ التاريخ المشارك

بحث مقدم إلى ندوة

مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ

ملخص الدراسة

تعد مكة المكرمة الينبوع الأول للعلم والمعرفة ، فمن الطبيعي أن تكون محط عيون العلماء المسلمين وطلاب العلم الذين أقبلوا عليها من كل فج عميق ، ففتحت مكة المكرمة لأبناء البلاد الإسلامية أبوابها واستقبلتهم ساحاتها العلمية في كافة مؤسساتها ، ولذلك ظهرت شرائح اجتماعية جديدة هم المجاورون والمهاجرون ، وقد ساعد هؤلاء في تنشيط الحركة العلمية بمكة ، فاستطاعوا بالاشتراك مع علماء مكة أن يضيفوا إلى قائمة البيوت التي تخصصت بالعلم أسماء جديدة ، وأصبح المسجد الحرام جامعة علمية تضم عددا كبيراً من الحلقات العلمية .

وقد ارتبطت نسبة أعداد المجاورين العامة في مكة بالأوضاع السياسية فيها ، فحين تكون مستقرة تزدهر حركة المجاورة ، أما في حالة الاضطرابات وفقدان الأمن تقل المجاورة ، وقد ازدهرت حركة المجاورة في العصر المملوكي وانتعشت في العصر العثماني وذلك يرجع إلى أن حكام الدولتين اهتموا اهتماماً بالغاً بالعناية بأرض الحرمين الشريفين .

لذلك تناولت الدراسة دور المجاورين في إثراء الحركة العلمية بمكة خلال القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي ، وتناولت مقدمتها أهمية الدراسة ودور الدول الحاكمة في تلك الفترة في نشاط حركة المجاورة ، ثم بينت الدراسة معنى المجاورة والحكم الفقهي لها ورأي العلماء في استحبابها أو كراهيتها ، كما وضحت مدة المجاورة

ودوافعها ، وأعطت لمحة تاريخية عن الوضع السياسي والاقتصادي بمكة خلال القرن العاشر لما له من أهمية وأثر في تواجد المجاورين ، واهتمام السلاطين والأمراء بالحركة العلمية ودور المجاورين فيها .

قدمت الدراسة تراجم لبعض المجاورين ونتاجهم العلمي ، ودورهم في إثراء الحركة العلمية بمكة ، وبينت دور الأماكن التي جسدت نشاط المجاورين العلمي سواء كان ذلك في المسجد الحرام ، والمدارس والأربطة ، كما أظهرت الدراسة أن نشاط المجاورين العلمي أدى إلى أن تقلدوا مناصب مهمة في مكة ، كالقضاء والإمامة والخطابة والآذان ومشيخة الخدام بالحرم ، كما أدى بقاء المجاورين لفترات طويلة مصطحبين معهم عوائلهم إلى تكوين أسر علمية رفعت أعلام الثقافة أبا عن جد وزودت المجتمع المكي بالعلماء والمثقفين لقرون عديدة ، فشكل العلماء المجاورين ظاهرة علمية فريدة ساهمت في إثراء الحركة العلمية بمكة .

الباحثة ، ،



بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

{ فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ }

سورة التوبة آية ١٢٢

كما قال ﷺ : { ما من خارج من بيته يطلب العلم ، إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رضا بما يصنع }

صحيح ابن حبان جـ١ ، ص٢٨٥، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط

***

المقدمة :

الحمد لله سبحانه الذي اصطفى مكة أرضاً ومهداً لدينه ومكاناً لبيته الكريم ، والصلاة والسلام على نبي الهدى وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد ،

إن مكة المكرمة هي الينبوع الأول للعلم والمعرفة ، والمكان الذي نزلت فيه أول سورة تدعو إلى الأخذ بناصية العلم والثقافة ، وهي سورة (اقرأ) كما أن وجود الكعبة المشرفة بها زاد من إجلال العقل الإسلامي لها ، فمن الطبيعي أن تكون محط عيون العلماء المسلمين وطلاب العلم الذين أقبلوا عليها من كل فج عميق ، خاصة أن الدين والعلم في الإسلام متلازمان .

والواقع أن قدسية المكان أكسبت العديد من طلاب العلم دافع الارتشاف من منهلها الصافي والأخذ من أفواه علمائها . وقد شكل الحج وزيارة الأماكن المقدسة أداة من أدوات التواصل والالتقاء بين علماء العالم الإسلامي بمكة المكرمة ، خاصة إذا علمنا أن حج معظم العلماء كان في الغالب مقروناً بطلب العلم ، لأنه كانت تنظم حلقات الدروس والمناظرات الدينية في ربوع مكة المكرمة بالحرم الشريف ، ففتحت مكة لأبناء البلاد الإسلامية أبوابها ، واستقبلتهم ساحاتها العلمية في كافة مؤسساتها ولم يكن ليحد من إقامتهم بها أنظمة وقوانين ، وإن هو إلا اقتناعهم الشخصي ، وشعور الواحد منهم بأنه قد تزود بالقدر الكافي من العلوم الشرعية وتلقيها على أيدي علمائها الأجلاء ، ليعود إلى وطنه لينشر الإسلام ويفقه أبناء جلدته .

إن مكة طيلة عصورها التاريخية هي عاصمة للثقافة ، لكن وقع اختياري على موضوع المجاورين في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي لما يتميز به هذا القرن من إثراء للحركة العلمية بمكة ، فشهد هذا القرن الكثير من العلماء المجاورين حتى صاروا جزءاً كبيراً من المجتمع المكي والكم الهائل من الكتب التي أُلفت ، وحقق البعض منها والكثير لم يحقق بعد – ونتمنى أن يحقق – يشهد على هذه الحركة العلمية .

كانت مكة المكرمة خلال هذا القرن تحت السيادة المملوكية في أواخر عهدها ، ثم أكملت المسيرة من بعدها الدولة العثمانية حيث اتسعت فتوحات آل عثمان وشمل نفوذهم أرض الحرمين الشريفين . فمنذ نهاية القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي كثرت هجرة المسلمين إلى مكة المكرمة من مختلف أنحاء العالم الإسلامي ، ولعل الاضطرابات السياسية والحروب الطاحنة في مختلف أرجاء البلاد الإسلامية جعل كثيرين منهم يفضلون العيش فيها ، ليبتعدوا عن تلك المشكلات ، ولا يمكن تجاهل الحافز الديني ، فالأفئدة المؤمنة تهوي إلى العيش في أقدس بقعة على ظهر الأرض . فظهرت شرائح اجتماعية جديدة في هذا القرن هم المجاورون والمهاجرون وقد ساعد هؤلاء المجاورون في نشاط الحركة العلمية ؛ فاستطاعوا بالاشتراك مع علماء مكة أن يضيفوا إلى قائمة البيوت التي تخصصت بالعلم أسماء جديدة ، فكان المسجد الحرام في القرن

العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي جامعة علمية تضم عدداً كبيراً من الحلقات العلمية في الفقه والحديث والأصول والتفسير ، ويستطيع أي طالب علم يلمس في نفسه القدرة على التفقه في الدين التعلم والتعليم.

والمجاورون في مكة المكرمة ليسوا من بلدة واحدة ، بل من مختلف أقطار العالم الإسلامي فكان الاستقرار والأمن والهدوء النسبي الذي تمتعت به مكة في هذه الفترة – موضوع الدراسة – أدى إلى الهجرة إليها والمجاورة ، فارتبطت نسبة أعداد المجاورين العامة في مكة بالأوضاع السياسية فيها ، فحين تكون مستقرة تزدهر حركة المجاورة ، أما في حالة الاضطرابات وفقدان الأمن تقل نسبة المجاورة ، وقد ازدهرت حركة المجاورة في العصر المملوكي وانتعشت في العصر العثماني ، وذلك يرجع إلى أن حكام الدولتين اهتموا اهتماماً بالغاً بالعناية بأرض الحرمين الشريفين ، فاهتموا بالأربطة وإنشاء المدارس وأكثروا من الأوقاف وإرسال المبالغ الكبيرة للصرف على أهل الحرمين الشريفين ، فكان سلاطين المماليك في مصر دائماً يعملون على راحة سكان الحرمين الأصليين والمجاورين ، ويقدمون لهم المساعدات المالية ، وبعد انضمام الحجاز إلى الدولة العثمانية في عهد السلطان سليم الأول عام ٩٢٣هـ/١٥١٧م حصل أهالي الحرمين على الغلة مجاناً كل سنة ، إضافة إلى تخصيص صرّة (١) للعربان بامتداد

(١) الصرّة : معناها اللغوي ما يصر على الشيء ، وهي كلمة عربية تعني كيس النقود ، وتستخدم للهدايا أيضاً وأطلقت في المعاملات المالية على مبلغ خمسين ألف أقجة ، أي نصف حمل من المال ، =

طريق الحج مقابل إفادة الحجاج من منابع المياه ، وبيع المواد الغذائية . علماً بأن هذه الصرة كانت ترسل حتى قبل دخول العثمانيين لأرض الحرمين .

والحقيقة أن تلك الصرّة كانت تدفع لهم ضماناً من جانبهم بعدم الهجوم على الحجاج ، وإضافة إلى الصرّة فقد تم تخصيص رواتب ومخصصات لقضاة مكة من جمارك جدة ، وكذلك رواتب للمدرسين وطلاب العلم والمجاورين ، واستمر العثمانيون في مد الحجاز بالغلة ومواد التموين اللازمة طوال فترة عهدهم الذي استمر أكثر من أربعة قرون ، ونتيجة للأوقاف الكثيرة التي أوقفت على الحرمين في العالم الإسلامي عامة وفي الأناضول خاصة ، حتى باتت تلك الأوقاف بمثابة خزينة للمال تزود الحجاز من أهل مكة والمجاورين بما يحتاجونه من أرزاق وكسوة يسدون بها رمق العيش على مر العصور ، حتى في حالة كساد التجارة وتبدل الظروف المعيشية فهم في مأمن من عيشهم ، وإمعاناً في ذلك الاهتمام استثنت الدولة العثمانية أهل مكة من الضرائب التي كانت تدفع في أماكن أخرى من الدولة العثمانية ، بل استثناء حتى التجار من الضرائب تقديراً خاصاً من الدولة لأهل

=

كما استخدمت في المبالغ المالية التي كانت ترسل من لدن السلاطين العثمانيين إلى مجاوري مكة والمدينة من الحكام والسادة والأشراف والأعيان والفقراء ، وكانت الصرة تخرج مع قافلة الحج في ١٢ رجب من كل سنة إلى الحجاز . انظر : سهيل صابان : المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية ، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م ، ص١٤٤ .

الحرمين ، وتميزاً لهم عن غيرهم من المواطنين لما لمكة المكرمة من مكانة لدى العثمانيين ، إضافة إلى أن علاقة أشراف مكة بالعثمانيين علاقة حسنة تتسم بالود والفرحة حتى قبل دخولهم الحجاز حين انتصر العثمانيين على الأوروبيين وفتحوا القسطنطينية ، وبعد دخولهم الشام ومصر نجد أن الحجاز يدخل سلمياً في طاعة العثمانيين، وهذا يدل على الصلة الوثيقة بين أشراف مكة والعثمانيين.

لكل هذه العوامل زادت حركة المجاورة والبقاء في مكة للتفرغ للعلم والتعلم والتثقيف في هذا الجو الآمن ؛ فلولا كثرة المجاورين في تلك الفترة لما أحتاج الأمر إلى شيخ لهم ينظم أمورهم ، فتفرغوا لتأليف كثير من المصنفات التي تزخر بها دور العلم والمكتبات ، فكان لهؤلاء أثر علمي كبير وإسهام في إثراء الحركة العلمية بمكة المكرمة ، وهذا ما جعل مكة في تلك الفترة تصبح واحدة من البلدان التي تشد إليها الرحال لطلب العلم والمعرفة وهذا ما سيتضح أثناء هذه الدراسة.

معنى المجاورة :

المجاورة لغةً : من جاور يجاور ومنه المجاورة ، أي الاعتكاف في المسجد ، وفي الحديث أنه كان يجاور بحراء ، وكان يجاور في العشر الأواخر من رمضان أي يعتكف [١] .

والمجاورة : المساكنة والمصاحبة والمقاربة " والجار هو الذي يجاورك بيتاً ببيت " [٢] .

وتجاور القوم واجتوروا بمعنى وجاورته مجاورة وجواراً ، والجار: الذي أجرته من أن يظلمه ظالم ، واستجاره من فلان فأجاره منه ، وأجاره الله من العذاب : أنقذه [٣] .

وقال عز وجل في كتابه الكريم : { **وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ** } سورة النساء ، آية ٣٦ .

ومجاورة مكة يقصد بها النزول بجوار البيت والإقامة بجانبه المشرف ، ولا يضيق المعنى اللغوي عن استيعاب هذه المجاورة ، فهي إما من محاذاة البيت الحرام ومصاحبته ومقاربته ، وإما أن النازل بهذا البيت يطلب الإجارة من أن يظلمه ظالم ، لأنه جار لبيت الله تعالى ، كما أنه لا يبتعد عن معنى الاعتكاف في المسجد ، ويقال جاور

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ، مادة جور ، طبعة دار المعارف ، القاهرة ، مجلد ٢ ، عام ١٤٢٣هـ .

(٢) محمد مرتضى الزبيدي : تاج العروس ، المطبعة الخيرية بالجمالية ، القاهرة ، ١٣٠٦هـ ، مادة جور .

(٣) الطاهر أحمد الزاوي : ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة ، جـ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، ص٥٥٤ ، مادة جور .

المدينة أو مكة [(١)] .

والمقصود في هذه الدراسة هو الإقامة بجوار بيت الله الحرام من أناس لا يقيمون إقامة اعتيادية بمكة ، وذلك لإقامة المناسك والشعائر الدينية ، أو طلباً للعلم أو العمل .

والمجاورين هم تلك النخبة من العلماء المسلمين وطلبة العلم الذين أقاموا بمكة لسنوات محددة أو طيلة حياتهم لطلب العلم ، وتقديم خدمات علمية تشمل التدريس ومنح الإجازات العلمية فضلاً عن الإفتاء والقضاء والمشاركة في المناظرات الدينية وتأليف الكتب .

ونرى من خلال الإطلاع على المصادر العلمية الخاصة بالدراسة أنهم يفرقون بين الحج والجوار كسلوكين يتميزان عن بعضهما البعض ، وذلك من خلال استعمال تعبير " حج وجاور " ، وهناك مصطلحات تعبيرية أخرى مثل " سكن الحرم " أو " نزيل مكة " أو " العلماء القادمين مكة " ، كمفردات لمصطلح المجاورين [(٢)] .

وخلاصة القول أن مفهوم العلماء المجاورين مصطلح أطلقته المصادر على العلماء الذين كانوا يتطوعون للبقاء بمكة بعد قضاء فريضة الحج لتقديم خدماتهم العلمية لمن يرغب في ذلك من المسلمين سواء في موسم الحج أو بعد انتهائه .

---

(١) إبراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط ، مادة جور ، إحياء التراث العربي ، طهران ، د . ت ، ص١٤٦.

(٢) إبراهيم القادري بوتشيش : العلماء المجاورون بمكة نموذج للملتقيات العلمية بمكة عاصمة الثقافة الإسلامية في العصر الوسيط ، بحث ألقي بندوة الحج الكبرى عام ١٤٢٣هـ ، ص٣٥٩ .

وقد يقصد مكة أيضاً للمجاورة الخائفون من الظلم والجور طلباً للأمان الذي وهبه الله لبيته الحرام الذي جعله { مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً } سورة البقرة آية ١٢٥ ، وقد يقصدها للمجاورة للاستشفاء أو التبرك أو الخروج من حزن ألم به من مصائب الدنيا فيجد في مكة الراحة والتخفيف عن ما ألم به ، وقد يكون طلباً للرزق أو العبادة .

أما الحكم الفقهي للمجاورة :

اختلف العلماء في استحباب المجاورة بمكة ، فذهب إلى استحبابها الشافعي وأحمد وأبو يوسف ومحمد بن الحسن صاحبا أبي حنيفة [(١)] ، وابن القاسم صاحب مالك لأنه قال أن جوار مكة مما يتقرب به إلى الله كالرباط والصلاة ، واستحبها أيضاً أحمد بن حنبل لأنه روى عنه أنه قال : ليت لي الآن مجاورة بمكة ، ويرجع ذلك لحرمة المكان ومضاعفة الحسنات ، ولما يحصل فيها من الطاعات التي لا تحصل في غيرها من الطواف بالبيت وتضعيف الصلوات وقد كان لرغبة النبي ﷺ في سكنى مكة المكرمة أثر كبير في استحباب المسلمين للمجاورة بها حيث قال : " والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إليّ " [(٢)] ومن ذلك قول ابن عباس : " قم بمكة وإن

---

(١) تقي الدين الفاسي (ت٨٣٢هـ) : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، جـ١ ، ط١ ، تحقيق : لجنة من كبار العلماء والأدباء ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ت ، ص٨٤ ، محب الدين الطبري (ت٦٩٤هـ) ، القرى لقاصد أم القرى ، ط٢ ، البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٣٩٠هـ/١٩٧١م ، ص٦٦١ .

(٢) محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة (ت٢٧٥هـ/٨٨٨م) : سنن ابن ماجة ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، جـ٢ ، بيروت ، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م ، ص٢٠٣٧ .

أكلت بها العضاه يعني السمر [١] " [٢] .

وممن كره المجاورة بمكة أبو حنيفة ومنهم ذلك ابن رشد المالكي من كلام وقع لمالك . وسبب الكراهية عند من رأها من العلماء ما قال المحب الطبري في القرى خوف الملل وقلة الاحترام لمداومة الأنس بالمكان ، وخوف ارتكاب ذنب هنالك ، فإن المعصية ليست كغيرها ، وتهيج الشوق بسبب الفراق [٣] واحتجوا بما كان يفعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه من الدوران على الحاج بعد قضاء النسك : فيقول : يا أهل اليمن يمنكم ، ويا أهل الشام شامكم ، ويا أهل العراق عراقكم، فإنه أبقى لحرمة بيت ربكم في قلوبكم [٤] .

كما احتجوا أيضاً بما قام به حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنه أنه اختار المقام بالطائف على مكة وقال في ذلك : لئن أذنب سبعين ذنباً بغير مكة أحب إليّ من أن أذنب ذنباً واحداً بمكة [٥]، كما قال الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه : خطيئة

---

(١) السَمُر جمع أسْمُر والواحدة سَمُرَة ، شجر من العضاة وليس في العضاة أجود خشباً منه . انظر : كتاب المنجد في اللغة والإعلام ، ط٢٧ ، ١٩٨٤م ، منشورات دار المشرق ، بيروت ، ص٣٥٠ ، حرف السين في اللغة .

(٢) تقي الدين الفاسي ت٨٣٢هـ : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، جـ١ ، ص٨٥ .

(٣) محب الطبري : القرى ، ص٦٦١ ، الفاسي : شفاء ، جـ١ ، ص٨٥ .

(٤) حمد الجاسر : أشهر رحلات الحج ، ملخص رحلتي ابن عبد السلام الدرعي ، دار الرفاعي ، الرياض، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، ص١٢٩ .

(٥) قطب الدين النهروالي : الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ، مكتبة الخياط ، بيروت ، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ص٢١ .

أخطئها بمكة أثقل من سبعين خطيئة في غيرها [١] .

والخلاصة أنه رغم اختلاف الفقهاء في حكم المجاورة بين مؤيد ومعارض إلا أن الرغبة في المجاورة كانت قوية عند المسلمين لأنها كانت من الأعمال الصالحة المقربة إلى الله .

مدة المجاورة :

تراوحت مدة المجاورة بين الطول والقصر ، فكان أقصرها لا يتعدى موسم الحج الذي كان يتراوح بين الشهرين أو الثلاثة أشهر في الغالب [٢] ، وقد يزيد على ذلك قليلاً ، فقد يصل الحاج إلى بيت الله الحرام في شهر شعبان أو رمضان ، وقد يغادر في محرم أو صفر ، والمجاورة المتوسطة قد تتجاوز السنة أو السنتين ، وكان القصد من هذه الإقامة طلب العلم أو ملاقاة العلماء ، فقد كانت مكة ولا تزال تمثل ملتقى العلماء من جميع أنحاء العالم الإسلامي ، وهذا ما حدا بطلاب العلم إلى المجاورة في الحرم الشريف للنهل من معين أولئك العلماء ، وقد تطيب لبعضهم الإقامة فيلزم نفسه بالأخذ عن أكبر عدد من الشيوخ ليرجع إلى بلده ذا مكانة علمية مرموقة[٣] .

---

(١) محمد بن أحمد الصباغ : تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ، مخطوط بمكتبة الحرم المكي رقم ١١١ ، تاريخ ، ورقة ١٤٩ .

(٢) محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م) : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، جـ٢ ، مكتبة الحياة ، بيروت ، د . ت ، ص١٢١ .

(٣) العربي سالم الشريف : مكة والمجاورون الأندلسيون من العلماء والفقهاء والقراء عبر التاريخ ، بحث ألقي في ندوة الحج الكبرى عام ١٤٢٣هـ ، ص٢٤٢ .

وأحياناً كثيرة تمتد فترة المجاورة لسنوات عديدة من عشر إلى عشرين وثلاثين وخمسين سنة ، وكان بعض المجاورين يجاورون عدة مرات ولفترات متفاوتة مثل السخاوي (ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م) [١] والعالم محمد الخفاجي الجمال المصري الشافعي (٩٨١هـ/١٥٧٦م) الذي أقام بمكة أكثر من ثلاثين سنة وحدث ودرس وأفتى فيها [٢] وقد يختاروا الإقامة الدائمة في جوار بيت الله الحرام ، فمنهم من قضى نحبه فانتقلوا إلى جوار ربهم وهم مجاورون لبيت الله العتيق لدرجة أن بعضهم تولوا مناصب بالحرم من إمامة أو خطابة أو إقامة آذان أو تدريس [٣] أمثال: الشيخ قطب الدين الحنفي عميد آل القطبي ثم عبد الكريم القطبي ٩٩٢هـ/١٥٨٧م ، وابنه أكمل الدين القطبي ١٠١٣هـ/١٦٠٤م [٤] والشيخ عبد الحق بن محمد عبد الحق السنباطي القاهري المكي الشافعي له مجموعة من المتون في الفقه والنحو والقراءات والأصول والمعاني والبيان والفرائض والحديث توفي بمكة [٥] وفي مجال التدريس الشيخ محمد بن أبي بكر عبد الله بن إبراهيم رضي الدين أبو عبد الله العسقلاني شيخ الحرم وفقيه المتوفى

(١) محي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروس : النور السافر عن أخبار القرن العاشر ، المكتبة العربية، بغداد ، ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م ، ص ص ١٦ ، ١٧ .

(٢) المعلمي : أعلام المكيين ، ص٤١٠ ، ترجمة رقم ٦٤٣ .

(٣) الشريف : مكة والمجاورون ، ص٢٤٥ .

(٤) أحمد السباعي : تاريخ مكة ، ط١ ، جـ٢ ، مطابع قريش ، مكة ، ١٣٨٣هـ ، ص٢١١ .

(٥) المعلمي : مرجع سابق ، ص ص ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ترجمة رقم ٨٣٠ .

٩٦٥هـ/١٥٦٠م [١] والشيخ عبد الرحمن بن أحمد بن عياش الشهير بابن عياش زين الدين الدمشقي الأصل جاور بمكة مدة طويلة وتصدى لتدريس الطلبة في الحرمين وصار شيخ الأقراء (٨٥٣هـ/١٤٤٩م) [٢].

وقد كان من هؤلاء المجاورين من كان يعتزم المجاورة مدة في الحرمين أو في أحدهما وهو بعد لم يتخط عتبة داره ، ولم يخط خطوة واحدة في الطريق إلى مكة ، كما كان منهم من كان وهو لا يزال في بلده ينوي المجاورة الموصولة في الحرمين أو أحدهما ، فيعد لذلك العدة بتصفية أموره المالية وما أشبهها مما تبرأ به ذمته ، وربما كان منهم من يقرر المجاورة قبيل انطلاق ركبه للعودة [٣] .

لقد عادت هذه المجاورة بمددها المتفاوتة على العالم الإسلامي بنشر العلم والذب عن الدين والإسهام في بناء الدولة الإسلامية ، كما عادت على المجاورين أنفسهم بالخير العميم وأستفادوا من المدة التي قضوها في مجاورة البيت العتيق بفوائد جمة دينية ودنيوية ، فتولى عدد كبير منهم القضاء بعد عودتهم إلى بلادهم ، ومنهم من تقلد خطة الشورى فكان فقيهاً مشاوراً بعد انصرافه ، ومنهم من تصدى

(١) إبراهيم المشيقح : تاريخ أم القرى ومكانة المرأة العلمية من خلال الدر الكمين لابن فهد ، ص١١٢ ، ط١ ، القصيم ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م ، ص٤٧ ، جمال الدين أبي المحاسن يوسف ابن تغري بردي ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م : الدليل الشافي على المنهل الصافي ، جـ٢ ، تحقيق : فهيم شلتوت ، جامعة أم القرى ، د.ت ، ص٦٤٥ ، ترجمة ٢٢١٨.

(٢) المشيقح : مرجع سابق ، ص٥٠ .

(٣) حسن الوراكلي : المجاورون الأندلسيون مساهمتهم في تشكيل صورة مكة العالمة ، بحث ألقي في ندوة الحج الكبرى عام ١٤٢٣هـ ، مكة المكرمة ، ص٣١٦ .

للتأليف فزود المكتبة بنتاج ثقافته التي تلقى معظمها أثناء مجاورته للبيت الحرام ، ولم يقتصر تأثير المجاورين على بلادهم فقط ، بل تعداها لتفيد منهم الحواضر الإسلامية الأخرى .

دوافع المجاورة بمكة المكرمة :

كانت فكرة الإقامة بمكة المكرمة ومجاورة الحرم المكي تشكل مطمحاً كبيراً بالنسبة لفئة من العلماء المسلمين وطلاب العلم، وذلك لما تتيحه هذه الفرصة من تفرغ علمي وروحي ؛ تمكن العالم والطالب خلاله من لقاء أكابر علماء مكة وغيرهم من شيوخ المسلمين المجاورين الذين هجروا أوطانهم وآثروا الإقامة في مكة من أجل الحصول على العلم ، أو تقديم خدمات علمية تشمل التدريس والإفتاء وعقد المناظرات لحجاج بيت الله الحرام [١] .

وتتمثل دوافع المجاورة في عدة نقاط :

(١) الدافع الديني :

كان كثير من الزهاد والصلحاء يجدون في مجاورتهم للحرم ما يشفي غليلهم الروحي ، فكانوا يرحلون إليه هروباً من الدنيا وملذاتها والانقطاع للعبادة والتبتل ، فهناك العديد من الأحاديث التي دفعت المسلمين كافة إلى القدوم والمجاورة في مكة تاركين بذلك

(١) بوتشيش : العلماء المجاورون بمكة ، ص٣٦٠ .

زخـرف الحيـاة الدنيـا ، وكـذلك هنـاك العديـد مـن المجـاورين الـذين تركـوا المناصـب الدنيويـة العاليـة ورغبـوا في المجـاورة قـال ﷺ : " مـن أدرك رمضان بمكـة فصام وقـام منـه مـا تيسر لـه كتب الله لـه مئـة ألـف شـهر رمـضان فيمـا سـواه ، وكتـب لـه بكـل يـوم عتـق رقبـة ، وكـل يـوم حمـلان فـرس في سـبيل الله ، وفي كـل يـوم حـسنة وفي كـل ليلـة حـسنة "[١] لـذلك كـان المـسلمون يحرصـون علـى توافـق المجـاورة في الحـرمين مـع المواسـم الدينيـة كـشهر رمـضان أو ذي الحجـة رغبـة في التزود والتقرب إلى الله .

فكـان الجـوار يعتـبر مـلاذ المـسرفين علـى أنفـسهم ، التـائبين إلى الله ، يجدون فيه الراحة النفسية والصفاء الروحي .

لم تكـن المجـاورة بـالحرمين قاصـرة علـى الطبقـات العليـا مـن المـسلمين بـل شملـت العامـة أيـضاً ، ونتيجـة لـذلك فقـد شـهدت أرض الحـرمين أعـداداً كـبيرة مـن المجـاورين بـشهادة المقريـزي الـذي قـال في أحـداث سـنة ٨٤٣هـ/١٤٣٩م " قـدم مبـشروا الحـاج وأخبـروا بـسلامة الحـاج وأن كـراء الجـمال بلـغ الغايـة لكثـرة مـن بمكـة مـن المجاورين "[٢].

(١) ابن ماجة : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص١٠٤١ .

(٢) المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق : محمد مصطفى زيادة ، جـ٢ ، ط٢ ، لجنة التأليف ، القاهرة، ١٩٥٦م/١٩٥٧م ، ص٦٤٨ .

ومما يدل أيضاً على كثرة المجاورين في تلك الفترة هذه العشرات من الرباطات التي أقيمت لسكنى المجاورين وغيرهم من الفئات التي هي في حاجة إلى إقامة وسكن ، كما استمر تدفقهم على مر العصور الإسلامية متحملين مشاق السفر قادمين في كثير من الأحيان بأهلهم وعيالهم حتى أن البعض منهم باع عقاره تقرباً إلى الله سبحانه ورغبة في مجاورة بيت الله الحرام [1] .

(٢) الدافع الأمني :

حيث تمتاز هذه المدينة المقدسة وحدود الحرم في أطرافها بالأمن وليس لأحد الحق في تدنيس المكان بالظلم والجور ، وكل من التجأ إليه فسيكون في مأمن وأمان ، فلا يجوز لأحد أن يتعرض لها بالإساءة والأذى { وَهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ } سورة التين آية ٣ ، كما قال : {وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} سورة الحج آية ٢٥ ، وهذا البلد يتساوى فيه الناس لا فرق بين أهلها وبين المقيمين فيها ، فالعاكف المقيم به ، والبادي الذي يحج إليه من غير أهله ، قال تعالى: {سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ} سورة الحج آية ٢٥ ، وكان يرى البعض في المجاورة وسيلة للهروب من الفتن التي كانت تعصف بالعالم الإسلامي في فترة الدراسة .

---

(١) محمد أديب غالب : من أخبار الحجاز ونجد من تاريخ الجبرتي ، دار تهامة للنشر والترجمة ، الرياض ، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م ، ص١٦٤.

(٣) الدافع العلمي :

لم يحظ مكان في العالم الإسلامي مثلما حظيت مكة بتجمع إسلامي كبير ، خاصة في المواسم الكبرى والتي يلتقي فيها المسلمون على مختلف مستوياتهم العلمية والاجتماعية والاقتصادية .

فكان الغالبية يقيم بأرض الحرمين للمجاورة بعد موسم الحج تقرباً لله أولاً ثم للاستفادة علمياً من علماء الحرمين والمجاورين بها إذ تعتبر مكة محطة علمية لطلاب العلم والمعرفة وخاصة في موسم الحج وذلك لتوفر الجو العلمي بها ، حيث يتم الالتقاء بين علماء المشرق والمغرب المتعددي الثقافات والمذاهب الدينية والعلمية والتقاليد ، ومن خلال الاجتماعات والمناقشات وتبادل الآراء في مختلف القضايا ، فتعم الفائدة ويتزود كل طرف بما وجده عند الآخرين ، كما يجدونها فرص مناسبة لنشر علومهم ، وإبراز معارفهم ، ومنح إجازاتهم لطلابهم في مكة مستفيدين من المدارس والرباطات الموجودة بكثرة في العصر المملوكي والعثماني مثل رباط الاغابهرام ، ورباط السلطان جلال الدين سلطان الهند [1] ورباط السلطان مظفر شاه ٩١٧-٩٣٢هـ/١٥١١- ١٥٢٥م ، ورباط الشريف محمد بن بركات ورباط أبي نمي بن بركات ، ورباط الباسطية ، ورباط قايتباي ، ورباط أم الحسين الطبرية ، ورباط الوزير داؤد باشا ، ورباط الرمانية وغيرها

(١) أميرة مداح : النشاط العلمي والتعليمي في مكة في العصر العثماني ، اتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ١٤٢٢هـ/٢٠٠١ ، ص٧٠٧.

من الأربطة التي قد تصل إلى أكثر من سبعة وأربعين رباطاً بمكة في تلك الفترة [١] ، علماً بأن هذه الأربطة كانت بها مكتبات وكتب كثيرة يستفيد منها النزلاء .

إذاً الدافع العلمي كان يشكل أبرز دوافع المجاورة بمكة ، حيث كان العامل الرئيسي في إثراء الحركة العلمية فيها ، خاصة إن الإسلام حث على طلب العلم والسعي له في كثير من الآيات والأحاديث الشريفة ، لذلك لم يكن يضير العالم وطالب العلم الاغتراب عن وطنه مدة طويلة طلباً لذلك ، خاصة إذا كانت الرحلة تتعلق بمكة التي تشكل مركز إشعاع ثقافي للعالم الإسلامي كما ذكرت سابقاً .

فالرحلة في طلب العلم تعتبر وسام علمي يزيد من مكانة العالم وغيره عن سائر أقرانه من العلماء ، فكثيراً ما نسمع بتلك العبارات في كتب التراجم : رحل حاجاً فحضر مجالس الحديث بالحرمين الشريفين ، وتلقى العلم على أئمة العلماء والفقهاء في العواصم الإسلامية ، فقيمة العالم أو طالب العلم تقدر بما قام به من رحلات واتصالات[٢] .

---

(١) علي عبد القادر الطبري : الأرج المسكي في التاريخ المكي وتراجم الملوك والخلفاء ، مخطوط بمكتبة الحرم رقم ٣ د تاريخ ، ورقة ٢٢، ٢٣ ، ٢٤ ، حسين عبد العزيز شافعي : الأربطة بمكة المكرمة في العهد العثماني ، رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى ، مكة ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م ، ص٥٠ .

(٢) أوليا جلبي : الرحلة الحجازية ، ترجمة : أحمد المرسي الصفصافي ، دار الوفاق العربية ، القاهرة ، ١٩٩٩م ، ص١٢ .

(٤) الدافع السياسي :

يعتبر من الدوافع المهمة للجوار ، ولكن لا نقصد به المجاورة من أجل الحصول على منصب سياسي ، لأن المعروف عن المجاورين بعدهم عن الأطماع الدنيوية ، وإنما نقصد به لجوء المسلمين للحرمين الشريفين للمجاورة بعيداً عن الفتن والخلافات السياسية في بلادهم فيحصلون بذلك على الطمأنينة والأمن ، خاصة أن الظروف السياسية التي عاشها العالم الإسلامي في فترة الدراسة أثرت كثيراً في قدوم المسلمين للمجاورة .

إذ تبيْن لنا الدراسة أن أكثر المجاورين كانوا من المصريين بالنسبة لغيرهم من الجنسيات الأخرى ، ويمكن تفسير تلك الظاهرة بالارتباط الذي كان يربط ولاة الحرمين بسلاطين المماليك والعثمانيين في مصر الذين حرصوا على فرض هيمنتهم على الحجاز ليكسبوا حكمهم الصبغة الشرعية ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى قرب مصر من الحجاز وسهولة الوصول إليها [(١)] ، وفي المقابل نجد أن أعداد القادمين من الشام والعراق كانت أقل قليلاً وربما يرجع ذلك للأخطار التي تعرضت لها هاتان المنطقتان من الصليبين البرتغاليين الذي أفقد معه الطرق ذلك الاستقرار والأمن المطلوب لسلامة المسافرين إلى أرض الحرمين ، فأهملت المرافق العامة التي تخدم المسافرين .

---

(١) علي حسين السليمان : العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك ، الشركة المتحدة للنشر ، القاهرة ، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م ، ص٢٣١ .

أما بالنسبة للمسلمين في الأندلس فقد قدم منهم أعداد لا بأس بها للمجاورة في الحرمين وربما يرجع ذلك للاضطهاد النصراني الأسباني الذي كانوا يعانون منه في بلادهم وفي شبه جزيرة إيبريا عامة وحقدهم على المسلمين لأنهم كونوا دولة إسلامية استمرت ثمانية قرون مما دفعهم للمجاورة في الحرمين ، أما بالنسبة لبقية أنحاء الدول الإسلامية كالمغرب العربي وبلاد ما وراء النهر واليمن ، فإن الهدوء السياسي فيها أثر في إنعاش حركة المجاورة .

إن الأوضاع في منطقة الحرمين ساعدت على ازدهار المجاورة وذلك لحرص معظم الولاة على راحة المجاورين وتحقيق معظم متطلباتهم لأنها كانت دائماً في صالح المجتمع ولنصرة الدين ، ثم ليكسبوا ود السلاطين الذين شملوا المجاورين بعنايتهم [1].

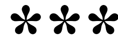
(٥) الدافع الاقتصادي :

يعتبر الدافع الاقتصادي من الدوافع المساعدة على الجوار في مكة حيث تعتبر سوقاً مستهلكة كبيرة لوجود أعداد كبيرة من المسلمين القادمين للحج والعمرة والجوار ، ويتضح قوة هذا الدافع في قدوم أعداد كبيرة من المسلمين للمجاورة في مكة معتمدين على الإمكانيات الكبيرة العائدة على مكة من الأراضي والعقارات الموقوفة عليها .

---

(١) منى حسين المشاري : المجاورين في مكة والمدينة في العصر المملوكي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، نوقشت بجامعة الملك سعود ، ١٤٠٩هـ ، ص ص ٤٤ ، ٤٥ .

وهذا أمر كان يدفع بكثير من الناس وخاصة الطبقات المتوسطة والفقيرة الحال للبقاء فترات مختلفة بمكة ، حيث يتوفر لهم المسكن في الرباطات والملبس والمأكل من الأموال والصدقات التي توزع من السلاطين والأعيان عليهم ، لكن لا يعني ذلك أن المجاورين كانوا عالة على مجتمع مكة ، وإنما كان منهم عدد لا بأس به من ذوي المستوى الاقتصادي الجيد ، الذي كان له بالتالي أثراً في إنعاش الناحية الاقتصادية [(١)].



(١) منى المشاري : المرجع السابق ، ص٤٧ .

لمحة عن الوضع السياسي والاقتصادي بمكة وأثره على وجود المجاورين خلال فترة الدراسة

ليس هدفي شرح التفاصيل عن الوضع السياسي والاقتصادي بمكة المكرمة خلال فترة الدراسة وهي القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، وإنما ألمح إليها ليقيني أن الوضع السياسي والاقتصادي لهما تأثير كبير على تواجد المجاورين في مكة ومدى استقرارهم ، إذ أن الهدوء السياسي والاقتصادي متطلب مهم للمجاورة، فيساعدان على تحقيق الصفاء الروحي والتفرغ العلمي في ظل الأمن والأمان بمكة ، لكن عندما نفتقر لذلك المطلب تتلاشى الرغبة قليلاً في المجاورة عند المسلمين عامة ، إذ لا يمكن أن تكون الحياة العلمية بمعزل عن الأوضاع السياسية والاقتصادية .

لقد كانت مكة المكرمة في هذه الفترة تابعة لدولة المماليك بمصر في أواخر أيامها ثم انتقلت السيادة للدولة العثمانية من بعدهم ، لكن الحكم الفعلي لأشراف مكة المكرمة ، وقد تولى خلال القرن العاشر الهجري ثلاثة من الأشراف هم : الشريف بركات بن محمد ٩٠٣- ٩٣١هـ/١٤٩٧- ١٥٢٥م ، والشريف أبو نمي محمد ٩٣١- ٩٩٢هـ/١٥٢٥- ١٥٨٤م ، والشريف حسن بن أبي نمي ٩٩٢- ١٠١٠هـ/١٥٨٤- ١٦٠١م (١) .

---

(١) إسماعيل حقي جارشلي : أشراف مكة المكرمة وأمرائها في العهد العثماني ، ترجمة : خليل علي مراد ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م ، ص١٣١ .

وبطبيعة الحال كان المماليك أو العثمانيين أو الأشراف ورجال الدولة بمكة مهتمين بإقامة المنشآت التعليمية من مدارس وأربطة وتكايا ومكتبات وأوقاف وغيرها ، لذلك سيكون الحديث عن الناحية السياسية أو الاقتصادية لإعطاء لمحة فقط ، أما التفاصيل فلها مجالات الدراسات المتخصصة .

لقد حرصت دولة المماليك بمصر منذ عهد السلطان الظاهر بيبرس بمد نفوذها إلى الحجاز ، فنشأت علاقة متميزة بينها وبين إمارة مكة ، وظهرت أمام العالم الإسلامي كحامية لبيت الله الحرام ، ثم ما لبثت تلك العلاقة أن توثقت في عهد السلطان قلاوون (١) ، ولما زادت المنازعات بين الأشراف في تلك الفترة حاول المماليك القضاء على المنازعات وإعادة الهدوء والاستقرار إلى بلاد الحجاز ، وبقيت للمماليك اليد العليا في شئون مكة ، ولكن زادت الخلافات والمنازعات بين أشراف مكة حول ولاية الإمارة في أوائل القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي مما ألحق الضرر بالحجاج والمجاورين وبعامة أهل مكة نظراً لاضطراب الأمن وانقطاع الطرق وتزايد هجمات العربان ، ولما زادت حدة الاضطرابات في أواخر عهد الشريف حسن بن عجلان ، عمد السلطان برسباي إلى إرسال عسكر من المماليك إلى مكة ، وبذلك تم تحول إمارة مكة المتمتعة بالحكم الذاتي إلى ولاية

(١) المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق : محمد مصطفى زيادة ، جـ١ ، ط٢ ، لجنة التأليف ، القاهرة، ١٩٥٦م- ١٩٥٧م ، ص٤٥٤ .

مملوكية ، وظلت على ذلك إلى عهد الشريف بركات بن محمد. لم ينقطع الخلاف بين الأشراف وتطاحنهم على الحكم في فترات متعددة مما أدى إلى هروب التجار إلى أسواق أخرى آمنة وقل عدد الحجيج نظراً لأن الأشراف لم يعد لديهم القدرة على ضبط الأمور ؛ لدرجة أن القوافل كانت تصطحب معها حرساً خاصاً لحمايتها ، ويشير ابن فهد في أحداث ٩١١هـ/١٥٠٥م أن عربان بني إبراهيم وزبيد نهبوا بندر جدة نفسه منتهزين عدم استقرار الأوضاع واختطفوا التاجر الخواجا شمس الدين القاري من بيته بجدة حتى يحصلوا على فدية كبيرة [١] ، كما كانت الحامية المملوكية تقوم بالفتنة والثورة مما يعود بأبلغ الضرر على الحياة الاقتصادية والأمنية [٢] .

ولما توسعت الدولة العثمانية بعد دخولها مصر وسقوط دولة المماليك بمصر عام ٩٢٣هـ/١٥١٧م وخضوع مكة سلمياً لها استقرت الأحوال الأمنية وكثر الوافدين إليها فكان منهم العالم والزاهد والتاجر ، وقد دب النشاط في الحركة العلمية نتيجة لازدياد عدد العلماء الذين طاب لهم الجلوس في مكة ومجاورة بيت الله الحرام [٣] .

---

(١) العز عبد العزيز بن عمر بن فهد القرشي (ت٩٢٢هـ) : بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى، القسم الثالث ، تحقيق : عبد الرحمن بن حسين أبو الخيور ، رسالة ماجستير لم تنشر بجامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م ، ص٨٤٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص٨٥ .

(٣) عبد الرحمن صالح عبد الله : تاريخ التعليم في مكة المكرمة ، ط١ ، جـ٢ ، دار الفكر ، د . م ، ١٣٩٢هـ/١٩٧٣م ، ص٧٧ .

كان الشريف بركات بن محمد ٩٠٣- ٩٣١هـ/١٤٩٧-١٥٢٥م أول من شغل منصب إمارة مكة في العهد العثماني ، وهو منصب جليل أسنده إليه السلطان الغازي سليم الأول (١) والشريف بركات كانت لنشأته أثر كبير في سيرته وفي موقفه من النشاط العلمي في الحجاز فقد حصل له ما لم يحصل لأحد من أمراء مكة من الرياسة والحشمة والهيبة ، وكانت أيامه أكثر ثراء علمياً من ذي قبل، مما جعل مكة في ولايته مقصودة من كل الآفاق ، وذلك للحج والمجاورة والأخذ عن علماء الحرمين الشريفين ، فحيثما يتوفر الجو العلمي والاستقرار والأمن وتشجيع العلماء والأخذ بأيديهم ، نجد توافر العلماء ، وهذا ما حدث فعلاً في أيامه ، فقد زادت نسبة المجاورين في عهده عن العهود السابقة (٢) .

وكان الشريف أبو نمى محمد بن بركات ٩٣١-٩٩٢هـ/١٥٢٥- ١٥٨٤م عاقلاً وقادراً على الحرب ، فقد أرتفع شأنه بين الأهالي في أثناء إمارته ، لنجاة الحجاج والزهاد والتجار من أن يلحق بهم الأذى والضرر (٣) ، وكانت الدولة العثمانية قد أمنت جانب

(١) محمد الأمين المكي : خدمات العثمانيين في الحرمين الشريفين ومناسك الحج ، ترجمة : د. ماجدة مخلوف ، ترجمة غير منشورة ، ص٥٣ .

(٢) العز عبد العزيز بن فهد : بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى ، دراسة وتحقيق : عليان المحلبدي ، القسم الثالث، رسالة ماجستير غير منشورة بجامعة أم القرى عام ١٤٢٢هـ/٢٠٠٠م ، ص١٩٩ .

(٣) أيوب باشا صبري : موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب ، ترجمة : ماجدة مخلوف وآخرون، ط١، جـ٥ ، دار الآفاق العربية ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م ، ص٧٧ .

الحجاز خلال فترة إمارته الطويلة على مكة ، رغم أن البرتغاليون انزلوا قوة في جدة عام ٩٤٨هـ/١٥٤٢م احتلتها في عهده ، إلاّ أن مجيء الشريف أبو نمى على رأس القوة البدوية التي جمعها ، وحمية والي جدة ودفاعه الشديد عن المدينة ، أجبر البرتغاليين على الانسحاب ، ولقاء موقف الشريف هذا ، خصصت له الدولة العثمانية نصف إيرادات جمرك جدة [١] .

كذلك كان الشريف بركات بن محمد بن بركات ممن اهتم بالعلم والمعرفة رغم ما حدث في عهده من النزاع على الحكم بينه وبين إخوته [٢] ، فكان من نتائج حبه للعلم والعلماء ، أن ازدهرت حركة التأليف في عهده ، حيث ألف له عبد العزيز بن عمر مؤلفاً اسماه " غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام " [٣] ، كما خرّج له جار الله بن عبد العزيز بن عمر أربعين شيخاً من المشايخ ، وأربعين حديثاً في فضل أهل البيت النبوي سماها " غاية الأماني والمسرات بعلو سلطان الحجاز أبو زهير بركات " ٩١٦هـ/١٥١٠م [٤] .

ولا يخفى علينا مدى تأثر الحالة العلمية بالحالة الاقتصادية ،

---

(١) إسماعيل حقي جارشلي : أشراف مكة المكرمة وأمرائها في العهد العثماني ، ص ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

(٢) نفس المصدر السابق ، ص١٣٢ .

(٣) عبد الله مرداد : المختصر من كتاب نشر النور والزهر ، دراسة وتحقيق : محمد سعيد العامودي ، وأحمد علي ، ط٢ ، جـ٤ ، عالم المعرفة ، جدة ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، ص١٤٢ .

(٤) عبد الملك العصامي : النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٧٩هـ ، ص٢٨١ .

فقد مرت على مكة في تلك الفترة عدة أزمات أثرت على دور المجاورين في إثراء الحركة العلمية ، فقد لحق مكة أزمات اقتصادية أدت إلى تفاوت أسعار البضائع والتأرجح الكبير في أسعار الأقوات والحبوب على وجه الخصوص على الرغم من أنها عامرة بالتجارة ، زاخرة بالأوقاف وتتابع الصدقات في مواسم معينة ، بالإضافة إلى موسمي الحج والعمرة الذين يمدانها برصيد كبير من المتاجر الشرقية والغربية ، ويبدوا أن اعتماد مكة في موارد مجلوبة من الأقطار الإسلامية الأخرى كان من اللازم أن ينعكس على اقتصادها ، ولنا أن نتخيل مقدار الركود الذي يحيط بها إذا قل ورود الحجيج بسبب الفتن وثورات العربان ، أو بسبب الإجراءات في الدول التي تفد منها قوافل الحجاج ، ولعل الظروف التي مرت على العالم الإسلامي قبيل بسط النفوذ العثماني على معظمه من غزو صليبي برتغالي استهدف تخريب الأماكن المقدسة في الحجاز وهدم الكعبة ونبش قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحينما عجز عن تحقيق أهدافه اتجه نحو إضعاف العالم الإسلامي اقتصادياً وذلك بتحويل طرق التجارة واكتشاف طريق جديد والدوران حول إفريقيا وعبور رأس الرجاء الصالح الذي يسمى من قبل برأس العواصف ، كل ذلك كان له أثر على سير الحياة العامة ليس في الحجاز فقط وإنما في سائر البلاد الإسلامية [(١)] ، ولعل من أبرز هذه الأزمات خلال فترة الدراسة :

- عدم سقوط الأمطار ، وما ينتج عنه من القحط والجفاف وهلاك المزروعات البسيطة وانتشار الأوبئة ، فترتفع الأسعار وتشح

(١) محمد طه صلاح بكري : الحجاز ، ص١٩٣ .

الأقوات مثلما حدث عام ٩١٩هـ/١٥١٣م من قحط جعل الأئمة على المذاهب الأربعة في المسجد الحرام يستمرون في دعاء القنوت [(١)] .

- السيول الجارفة حتى أن الحرم نفسه لم يسلم من جراء تدفق السيول . ففي عام ٩٢٠هـ/١٥١٤م أصاب مكة سيل ، وكذلك عام ٩٢١هـ/١٥١٥م وكان الأشراف وكبار التجار يواسون من أصيبوا بهذه الكوارث ، كما كانت السلطة المملوكية تبادر بإرسال المعونات والحبوب على وجه السرعة إلى مكة [(٢)] ، كما أن تدهور اقتصاد البلاد الإسلامية التي تساعد مكة ، يؤثر على اقتصادها ، فقد أشار ابن إياس إلى الغلاء الذي وقع ٩١٤هـ/١٥٠٨م ، ٩١٧هـ/١٥١١م على مصر بسبب شح النيل وارتفاع ثمن القمح وعز وجود الخبز ، وبما أن مصر تمد مكة بالموارد الغذائية من أوقافها كان لابد أن تتأثر بذلك [(٣)] .

لقد أصاب الكساد الاقتصادي البلاد أيضاً بسبب الهجوم البرتغالي على ميناء جدة [(٤)] وقد أشار جار الله محمد بن عبد العزيز ابن فهد (ت٩٥٤هـ/١٥٤٨م) في مؤلفة " الجواهر الحسان في مناقب

---

(١) العز بن فهد : بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى ، تحقيق ودراسة : عبد الرحمن بن حسين أبو الخيور ، القسم الثالث ، رسالة ماجستير لم تنشر بجامعة أم القرى ، مكة عام ١٤٢٢هـ/٢٠٠١ ، ص ص ٨٤٢- ٨٤٦ .

(٢) نفس المصدر السابق والصفحة .

(٣) محمد بن أحمد ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ط٢ ، جـ٤ ، البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م ، ص ص ٢١٧ ، ٢٥٣ ، ٣٠٤ .

(٤) أميرة مداح : النشاط العلمي والتعليمي في مكة في العصر العثماني ، اتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة، ١٤٢٢هـ ، ص٦٨٩ .

السلطان سليمان بن عثمان " عن الغلاء الذي وقع بمكة عام ٩٢٤هـ/١٥١٨م وانعامات الدولة العثمانية في عهد السلطان سليم خان، وكانت تفرق على كل كبير وصغير وغني وفقير " (١).

خلاصة القول أن مكة خلال فترة الدراسة كانت موضع اهتمام المماليك ومن بعدهم العثمانيين وأنها مرت بفترات من الهدوء وكذلك الاضطراب بسبب التنافس على إمرتها ، وقد تركت تلك الاضطرابات والأزمات الاقتصادية آثارها في مكة ، إلا أنها لم تحل – لحسن الحظ – دون ظهور حركة علمية ملحوظة فيها وقد جاء في تقديم الأديبين الجليلين الشيخ محمد سعيد العامودي ، والشيخ أحمد علي الكاظمي لكتاب (المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر) : " إن حركة التعليم الديني في أم القرى لم تتوقف ، أو تضعف في أي عهد من العهود ، وبرغم كل الظروف والفتن ، وإنما ظلت مستمرة مضيئة من القرن الأول إلى اليوم ، وهذا من فضل الله – ولا شك – ورعايته للبلد الأمين " (٢).

أن المماليك والعثمانيين والأشراف أنفسهم اهتموا اهتماماً خاصاً بالمؤسسات العلمية ، وكان السلاطين يبذلون الهبات لمساعدة المجاورين في حالة تضررهم ، إلى أن وصل بهم الأمر أن يشترطوا على

(١) محمد الحبيب الهيلة : التاريخ والمؤرخون ، ط١ ، مؤسسة الفرقان ، مكة ، ١٩٩٤م ، ص٢٠٣ .

(٢) مرداد : مختصر نشر النور والزهر ، ص١٠ .

الـولاة عـدم إيـذاء المجـاورين ، ومـن الأمـور الـتي ربمـا دفعـت الـسلاطين إلى تقـصي أحـوال المجـاورين ومعرفـة أوضـاعهم ، وجـود شخـصيات مجـاورة ذات مكانـة كـبيرة في الدولـة ، ولهـا علاقـة قويـة بالـسلاطين [١] ، ولم يقتـصر دور الـسلاطين علـى حمايـة المجـاورين فقـط بـل عمـروا الرباطـات والمـدارس ليـوفروا لهـم المـسكن ، وبـذلوا كـثيراً مـن الـصدقات علـيهم ، فقـد تـصدق والـد الـسلطان قانـصوه الغـوري بمـال كـثير عنـدما حـج ٩٢٠هـ/١٥١٤م وقـد سـار الـسلاطين العثمـانيون علـى نهـج سـابقيهم تجـاه المجـاورين ، فقـد وفـروا الرخـاء المـادي للحجـاز عامـة ومكـة خاصـة ، نظـراً لمـا لهـا مـن مكانـة روحيـة في قلـوبهم ، بالإضـافة إلى العلاقـة الطيبـة الـتي كانـت تجمـع بيـنهم وبـين الأشـراف كمـا سـبقت الإشـارة ، وبـذلك تحقـق الهـدوء النـسبي والأمـن والرخـاء الاقتـصادي ، وهـذه عوامـل يترعـرع العلـم ويزدهـر في محيطهـا فتنطلـق العقـول والأفكـار دون قيـد أو عـائق ممـا أدى بـدوره إلى نـشاط وازدهـار الحيـاة الفكريـة والعلميـة بجميـع فروعها [٢] .

---

(١) منى حسين آل مشاري : المجاورين ، ص٦٨ .

(٢) ضياء قازيجي : خدمات الدولة العثمانية للحرمين الشريفين ، المجلة التاريخية المغربية ، س١٢ ، العددان ٣٩ ، ٤٠ ، ديسمبر ١٩٨٥م ، ص٥٨٧ .

علاقة المجاورين العلمية بعلماء البلدان المجاورة :

لم تكن علاقة مجاورة المسلمين في مكة قاصرة على أرض الحرمين فقط ، بل أن فترة الحج كانت فرصة كبيرة لالتقاء هؤلاء المجاورين بعلماء المسلمين من البلدان الإسلامية المختلفة ، لذلك حرص المجاورون على الاتصال بمن قدم مكة المكرمة من أجل أن يأخذ العلم منه ، كذلك كان القادمون إلى مكة من طلبة العلم يحرصون على الاستزادة من علمائها وعلماء المجاورين فيها ، فيذكر لنا السخاوي في كتابه الضوء اللامع عدداً لا بأس به من طلبة العلم الذين حرصوا على الأخذ منه عند قدومهم للحج ، كعبد الملك بن علي القزويني الشيرازي الذي التقى به ٨٦٧هـ/١٤٦٢م ، وأخذ منه وأفاد السخاوي في إعطائه ترجمة لوالده [١] .

ومحمد بن إبراهيم بن مكرم الشيرازي ، الذي قرأ عليه بعض صحيح البخاري ٨٨٦هـ/١٤٨١م كما كتب له إجازة [٢] . وعلي بن إبراهيم الايجي الذي قدم مكة حاجاً ٨٩٨هـ/١٤٩٢م فأخذ عنه الكثير من الحديث وكتب له السخاوي إجازة اغتبط بها كثيراً [٣] . وتقي الدين بن حزن ت٩٨٧هـ/١٥٧٩م أخذ عن جار الله بن فهد واشتغل مع الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الغفار المالكي في النحو والأصول والحساب وغير ذلك ، وسافر إلى الشام ولازم الشيخ شمس

(١) السخاوي : الضوء اللامع ، جـ٥ ، ص٨٦ .

(٢) نفس المصدر ، جـ٦ ، ص٢٨٠ .

(٣) نفس المصدر ، جـ٥ ، ص١٥٨ .

الدين بن سلطان مفتي بلاد الشام وعالمها ، وكتب عنه الفتيا ، وأجاز له هو وغيره بالإفتاء والتدريس ، وعاد إلى مكة وولى بها نيابة القضاء عن المرحوم القاضي هداية الله ، وولى خطابه منى في أيام الحج ، ودرس بالمسجد الحرام [١] ، وعلي بن عباد البستريني المغربي الأصل الذي سمع من السخاوي وكتب له إجازة بما سمع عندما قدم إلى مكة حاجاً [٢] .

كما كان العالم المجاور محمد بن علي بن عبد الرحمن بن عراق الكناني ت٩٣٣هـ/١٥٢٧م الدمشقي الأصل على درجة كبيرة من العلم والتدين والإصلاح الاجتماعي ، انتقل من الشام إلى مكة في مرحلة انتقال السلطة من المماليك إلى العثمانيين ، فاستفادت مكة وأهلها من إصلاحه ، أخذ عنه ابن حجر الهيتمي في عقيدته [٣] ، والعالم عمر بن أحمد بن علي الشماع الحلبي الشافعي الذي جاور بمكة مرات ٩١٦هـ/١٥١٠م ، ٩٢٧هـ/١٥٢٠م ، وأخذ بها عن علماء كثيرين ، منهم السيوطي وابن أبي شريف والعز بن فهد وجار الله ، وقد ترجم للعز بن فهد في مؤلفه " سفينة نوح " ، أما جار الله بن فهد فكان من أصحابه فوصفه في أغلب الأحيان بلفظ " صاحبنا " [٤] .

---

(١) مرداد : مختصر نشر النور والزهر ، ص١٥٠ .

(٢) تقي الدين عبد القادر التميمي الداري : الطبقة السنية في تراجم الحنفية ، تحقيق : عبد الفتاح الحلو، دار الرفاعي للنشر ، الرياض ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، ص٢٦٧ .

(٣) محمد الحبيب الهيلة : التاريخ والمؤرخون بمكة ، ص١٨٣ .

(٤) نفس المرجع ، ص١٨٦ .

والشيخ محمد بن سليمان المغربي من خيرة علماء المغرب ، حيث أخذ العلم من علمائها ثم رحل إلى مصر وأخذ عن علمائها اللغة والحساب والفلك والحكمة ، ثم رحل وجاور بمكة والمدينة فآسيا الصغرى ثم عاد إلى مكة وعين مشرفاً على أوقاف مدرسة قايتباي ، وكان الشريف بركات يتردد على داره يومياً بل وربما زاره أكثر من مرة في اليوم الواحد (١) .

اهتمام السلاطين والأمراء بالحركة العلمية بمكة ودور المجاورين فيها :-

لعل سبب اهتمام سلاطين المماليك بالعلم وأهله واحتضانهم لهم يعود إلى هجرة الكثير من العلماء من المشرق والمغرب بعد اجتياح المغول للشرق الإسلامي ودخولهم بغداد وبلاد الشام فاستقر المقام بالكثير من هؤلاء العلماء في مصر التي أصبح لها دور الريادة السياسية والفكرية بعد تحرير بلاد الشام من أيدي الصليبين ، وبعد العمل الرائع الذي قام به المماليك لوقف زحف المغول على ما تبقى من العالم الإسلامي في مغربه بعد أعمالهم التخريبية في المشرق من قتل العلماء وتدميرهم لدور العلم ، مما ساعد على النهوض بالحركة العلمية ، فقد ألف السلطان قايتباي ٩٠١هـ/١٤٩٥م ديواناً لطيفاً من نظمه وإنشائه في مناقبه مآثر سماه " الدرة المضيئة في المآثر

(١) العصامي : سمط النجوم ، جـ٤ ، ص ص ٥٤٣ ، ٥٢٤ ، علي بن تاج الدين السنجاري : منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم ، جـ٢ ، دراسة وتحقيق : ماجدة زكريا ، مركز البحوث بجامعة أم القرى ، ط١ ، مكة ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م ، ص٢٨٥ .

الاشرفية " [(١)] وأنشأ السلطان قايتباي أيضاً مدرسة بمكة درّس بها عدداً من المجاورين [(٢)] كما سيأتي ذكره خلال الدراسة .

وكان للسلطان قنصواه الغوري ٩٢٢هـ/١٥١٦م عناية فائقة ببلاد الحجاز تتناسب مع قدسية تلك البلاد ، فأنشأ آثاراً عظيمة ، ما بين مدارس ، وجوامع ، ومساجد وأسبله وكتاتيب بمكة [(٣)] .

ولما كان توسع الدولة العثمانية ظهر اهتمام آل عثمان بمكة كما ذكرت سابقاً ، فأنشأ السلطان سليمان القانوني أربع مدارس تدرس كل منها مذهب من المذاهب الأربعة ٩٧٢هـ/١٥٦٥م سماها المدرسة السليمانية ، أشرف على بنائها الأمير قاسم بك الشرواني أمير جدة ، كما أوقف لها أوقافاً بالشام للصرف عليها ، وعين لها عدداً من المجاورين للتدريس فيها مثل قطب الدين النهروالي والقاضي حسين الحسني ، وكذلك بنى السلطان مراد الثالث المدرسة المرادية بمكة ٩٨٢هـ/١٥٧٤م ، ودرس بها الشيخ حمد بن محمد السخاوي [(٤)] وبنى المنصور غياث الدين بن المظفر أعظم شاة صاحب بنجاله من بلاد الهند المدرسة الغيائية (البنغالية) ٨١٤هـ/١٤١١م [(٥)] ، واستمرت هذه

(١) عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت١٠٨٩هـ) : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، جـ٢ ، دار الفكر ، د . م ، د . ت ، ص٧.

(٢) عبد الرحمن صالح : تاريخ التعليم في مكة المكرمة ، ط١ ، دار الفكر ، د . م ، ١٣٩٢هـ/١٩٧٣م ص٧٥.

(٣) إبراهيم المشيقح : تاريخ أم القرى ، ص٥٥ ، محمد طه صلاح بكري : الحجاز ٨٥٩- ٩٢٣هـ ، رسالة ماجستير بأم القرى لم تنشر ، مكة ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م ، ص١٩٨ .

(٤) السنجاري : منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم ، جـ٢ ، ط١ ، ص٢٩٧ .

(٥) الفاسي : العقد الثمين ، جـ١ ، ص٣٩٩ .

المدرسة حتى أواخر القرن العاشر الهجري ، وقد درس فيها جمال الدين محمد بن عبد الله بن ظهيرة ، وأحمد بن محمد بن سعيد الصاغاني [١] الحنفي وهو أول قاضي حنفي ولي هذا المنصب بمكة [٢]

لعل ما نلاحظه أن حكام وسلاطين البلاد الإسلامية في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي هم الذين أنشئوا أكثر المنشآت العلمية وذلك يرجع لأسباب عديدة منها أن المسلمين رغم انتمائهم لدول متعددة إلا أنهم ظلوا يشعرون بانتمائهم إلى كيان واحد ، وفي ذلك تأكيداً لما ذهبنا إليه من خلال الدراسة من تمكن الهوية الإسلامية والعربية عند أهل العلم ، وانتفاء الشعور السلبي عند ذكر البلد الذي ينتمي إليه الإنسان أصلاً ، ثم ذكر الأمكنة التي استقر فيها طالباً للعلم ومخالطاً لأهلها ومجاوراً لسكنها ، فقد أدى اهتمام الحكام المسلمين بمكة إلى إثراء الحركة العلمية في هذه البقعة المقدسة ذات المكانة العلمية على قلوب جميع المسلمين ، كما نلاحظ أن من قام بالتدريس في هذه المنشآت العلمية أكثرهم من المجاورين .

(١) المصدر السابق ، جـ٢ ، جـ٣ ، ص٥٨ ، ١٦٨ .

(٢) علي بن حسين السليمان : العلاقات الحجازية المصرية زمن المماليك ، ص١٤٩ .

دور المجاورين في إثراء الحركة العلمية بمكة ونتاجهم العلمي خلال فترة الدراسة :

لم تعدم مكة المكرمة في عصر من العصور الإسلامية العلماء والفقهاء النابهين والنابغين سواء من أبنائها ، أو الوافدين إليها من أبناء العالم الإسلامي وتبرز هذه الحقيقة التاريخية في انتساب بعض أبناء الأمم والشعوب الإسلامية إليها بسبب إقامتهم فيها فترة من الزمن تعلماً وتعليماً ، فأصبحت لهم ألقاب متنوعة يعرفون بها ، وعناوين يتميزون شرفاً بها مثل : إمام الحرمين ، جار الله ، المكي ، وهي شواهد صادقة للدور العلمي للبلد الحرام في المجالين الفكري والعلمي للأفراد بخاصة وللأمة الإسلامية عامة.

لقد ساهم المجاورون في نشاط الحركة العلمية بمكة المكرمة ، ودفعها للأمام ، إذ كان معظمهم على درجة عالية من العلم ، فوضعوا لنا المؤلفات القيمة التي أثرت المكتبة العربية الإسلامية بمختلف العلوم والفنون ، كما سيتضح خلال هذه الدراسة.

وقد درس على أيدي كثير من المجاورين الآلاف من طلبة العلم، وقدموا الإجازات العلمية من الداخل والخارج ، فذاع صيت الكثير منهم ، ولا عجب في ذلك فهم في كل عام يقابلون آلافاً مؤلفة من الحجاج القادمين من مختلف الأقطار مجتمعون ويتبادلون معهم المعارف في شتى العلوم ، ولم تنحصر رغبة العلماء المجاورين في الجانب الروحي المتمثل في مجاورة الحرم المكي للاعتكاف والزهد ، بل كانت غاية العالم المجاور الإفادة والاستفادة العلمية .

فقد أشار الشيخ حمد الجاسر في كتابه " أشهر رحلات الحج" ملخص رحلتي ابن عبد السلام الدرعي إلى ذلك فقال : " كان العلماء في العصور الأولى يقصدونها من مختلف أقطار العالم الإسلامي، ليؤدوا ركناً من أركان دينهم ، أداؤه فرض ، وليضيفوا إلى ذلك أموراً من أهمها التزود بزاد العلم والمعرفة ، فالعالم يفد إليها من أقصى المشرق أو المغرب فيلتقي بعالم آخر من بلاد بعيدة عن بلاده فيحصل بهذا الالتقاء تقارب وتفاهم ، واستزادة علم ، وامتداد لروافد المعرفة ، وانتشاراً للأفكار بين مختلف الأقطار الإسلامية .. "(١) .

ولا غرو فإن تصفح لائحة العلماء المجاورين بمكة تثبت أن معظمهم كان قد حصل على رصيد علمي محترم قبل رحلته إلى مكة ، غير أنه كان يطمع إلى المزيد من التبحر في مختلف العلوم ، ويصبوا في نفس الوقت إلى تقديم ما يستطيع من خدمات علمية للحجاج الوافدين على مكة .

فقد قدمت المجاورة لمجتمع مكة عدداً من الأسر العلمية التي شارك أبناؤها في تولي العديد من المناصب العلمية والدينية العليا ، سيتضح ذلك من خلال استعراض لبعض العلماء المجاورين بمكة الذين أتوا من (أصقاع) مختلفة من حواضر العالم الإسلامي ، مما يدل دلالة واضحة أن مكة شكلت مركزاً لاستقطاب العلماء جميعاً ، فكانوا يأتون للاستفادة من بعضهم البعض ويفيدوا ، وتتفق

---

(١) حمد الجاسر : أشهر رحلات الحج ، ملخص رحلتي ابن عبد السلام الدرعي ، ط١ ، الرياض ، دار الرفاعي للنشر ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، ص١١ .

النصوص التي رجعنا إليها للتعرف على سير هؤلاء العلماء بأن مناقبهم وأخلاقهم الفاضلة تتميز بحميد السجايا [١].

وأسهبت المصادر التاريخية في الحديث عن المستوى العلمي الذي تحلى به المجاورون ، فلا تكاد تخلو ترجمة شخصية من الشخصيات المجاورة من ذكر لعدة علوم أتقنها هذا المجاور أو ذاك ، وكانت العلوم الدينية تحظى بنصيب وافر ، من هؤلاء العلماء على سبيل المثال لا الحصر :

١- الحافظ شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي قاهري المولد شافعي المذهب ٨٣١- ٩٠٢هـ/١٤٢٧- ١٤٩٦م ، حفظ القرآن وهو صغير وصلى به في شهر رمضان وحفظ كتب لا تحصى ، وأذن له غير واحد بالافتاء والتدريس والإملاء وسمع الكثير على شيخه ابن حجر العسقلاني لازمه أشد الملازمه وحمل عنه ما لم يشاركه فيه غيره ، وأخذ عنه أكثر تصانيفه [٢] . وحج بعد وفاة شيخه ابن حجر مع والديه ولقى جماعة من العلماء وأخذ عنهم كالبرهان الزلزلي والتقى ابن فهد ، وأبي السعادات بن ظهيرة ، وابن الضياء الصاغاني ومحمد ابن محمد المغربي [٣] ، وأفاد كثيرين حتى تكونت مدرسة علمية من تلامذته وتوفي ٩٠٢هـ/١٤٩٦م تاركاً من التلاميذ

---

(١) بوتشيش : العلماء المجاورون بمكة ، ص٣٦٦ .

(٢) ابن العماد : شذرات الذهب ، جـ٦ ، ص١٥ .

(٣) السخاوي : الضوء اللامع ، جـ١ ، ص ص ٧ – ١٩ .

والمؤلفات الضوء اللامع ، الأعلام بالتواريخ ، وفتح المغيث ، والتحفة اللطيفة ، والجواهر والدرر في ترجمة ابن حجر ، أما تلاميذه بمكة ابن أبي اليمن النويري المولود سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م [١] ، وعمر بن محمد بن علي النويري المولود بمكة ٨٥٠هـ/١٤٤٨م قدم القاهرة وأخذ عن شيوخها ولازم السخاوي بمكة في مجاورته الثانية والثالثة وأخذ عن السخاوي بمكة [٢] ، وعبد الله بن يوسف الحسناوي وأحمد بن محمد الأشموني [٣] .

٢- برهان الدين إبراهيم الاقصراني القاهري ٩٠٨هـ/١٥٠٣م المجاور بمكة المكرمة لمدة ثلاث سنوات ، ألف فيها كتاباً اسماه " أحكام الحكم لشرح الحكم " وهو شرح على كتاب الحكم (بن عطا الله) كما ألف كتاباُ في الزيارات النبوية وله ديوان نظم [٤] .

٣- الشيخ رحمه الله بن عبد الله بن إبراهيم السندي ٩٣٠-٩٩٣هـ/١٥٢٣- ١٥٨٥م من أهل السند جاور بأرض الحرمين ، وأقام بالمدينة ثم بمكة وتوفي بها. له جامع المناسك ونفع الناسك، جمع المناسك تسهيلاً للناسك ، لباب المناسك وعباب

(١) السخاوي : المصدر السابق ، جـ٦ ، ص١٢ .

(٢) السخاوي : المصدر السابق ، جـ٥ ، ص٢٢٨ .

(٣) نفس المصدر ، جـ٧ ، ص٤٢ .

(٤) ابن العماد : شذرات الذهب ، جـ٨ ، ص٣٦ .

السالك ، غاية التحقيق ، رسالة في كراهة تكرار الجماعة في المسجد ، رسالة في حكم الاقتداء بالمخالف [(١)] .

٤- محمد بن علي بن عبد الرحمن بن عراق الكناني المجاور بمكة ٩٣٣هـ/١٥٢٧م ألف كتاباً في العقيدة وآخر في الأحاديث الموضوعة ، وبعض الكتابات في التصوف [(٢)] .

٥- والعالم المجاور عبد الله بن أسعد سندي المدني المكي الحنفي ت٩٨٤هـ/١٥٧٦م له حاشية على عوارف السهروردي " مجمع المناسك ونفع الناسك " فرغ منه ٩٥٠هـ/١٥٤٣م [(٣)] .

٦- العالم الحسين بن محمد بن الحسن الديار البكري نزيل مكة ، وتولى القضاء بها ٩٣١هـ/١٥٢٤م وألف فيها مؤلفاته ، له " أهبة المناسك والحاج لانتفاعه بها لدى الاحتياج " ، وكتاب " الخميس في أحوال أنفس نفيس " المسمى " بتاريخ الخميس " ، ورسالة في مساحة الكعبة والمسجد الحرام [(٤)] .

٧- العالم عمر بن أحمد بن علي الشماع الحلبي الشافعي ت٩٣٦هـ/١٥٢٩م من شيوخه السيوطي وابن أبي الشريف والعز

---

(١) مرداد أبو الخير : مختصر نشر النور والزهر ، ص١٩٥ ، ابن العماد : المصدر السابق ، جـ٨ ، ص٣٨٦ ، ٤٣٠ .

(٢) الهيلة : التاريخ والمؤرخون ، ص١٨٣ .

(٣) ابن العماد : شذرات الذهب ، جـ٨ ، ص٤٠٣ ، عبد الله بن عبد الرحمن المعلمي : أعلام المكيين من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر الهجري ، ط١ ، جـ١ ، دار الفرقان ، مكة ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م ، ص٥٣٦ .

(٤) الهيلة : المصدر السابق ، ص٢٣٤ ، مرداد : المختصر ، ص١٧٩ .

ابن فهد ، ألف كتاب " عيون الأخبار في ما وقع لجامعه في الإقامة والأسفار " وكتاب " سفينة نوح " كما ألف كتابين بمكة أيضاً هي " عرف الند في المنتخب من مؤلفات ابن فهد " وكتاب " المواهب المكية " والمنسك الذي بعنوان " المتقنع في آدب ونسك المتمتع " وكتابان في مناقب الأشراف " العذب الزلال في مناقب الآل " و " الفوائد الزاهرة في السلالة الطاهرة " وكتاب " تشنيف الأسماع بمشائخ عمر الشماع " وكتاب " تحفة الثقاب بأسانيد ما لعمر الشماع من المسموعات " وكتاب " الجواهر والدرر في سيرة سيد البشر وأصحابه العشرة الغرر " وكتاب " الدرر الملتقطة من الرياض النضرة في فضائل العشرة " وكتاب " ذيل العبر في أسماء من غبر للذهبي " [١] .

٨- العالم عبد الكريم قاضي خان ٩٦١هـ/١٥٥٣م لازم عمه قطب الدين واستفاد وأفاد وآلت إليه جميع مخلفاته من الأموال والكتب الكثيرة فنمت حتى بلغت كتبه أربعة عشر ألف كتاب ، كان الكتبة ملازمين لبيته يكتبون له ما يريد من الكتب ، مع الاعتناء بتصحيحها وضبطها ، من مؤلفاته شرح على البخاري سماه " التعبير الجاري على البخاري " ، واختصر تاريخ عمه وزاد فيه زيادة سماه " أعلام العلماء الأعلام " [٢] .

(١) نجم الدين الغزي : الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ، حققه وضبطه : جبرائيل سليمان جبور ، ط٢ ، جـ٢ ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٧٩م ، ص ص ٢٢٤ ، ٢٢٦ .
ابن العماد : شذرات الذهب ، جـ٨ ، ص ص ٢١٨ — ٢٢٠ .

(٢) مرداد : المختصر في نشر النور والزهر ، ص٢٨٠ .

٩- قطب الدين محمد بن علاء الدين أحمد بن محمد خان النهروالي ت٩٩٠هـ/١٥٨٢م المولود في لاهور وكان أجداده في نهرواله بمحافظة كجرات ، قدم مكة المكرمة مع والده وهو طفل ، فتتلمذ على يد العلماء المشهورين بالحج من المعارف والعلوم ، وبرع في الأدب العربي ، والحديث والفقه والتفسير ألف قطب الدين مجموعة من الكتب في الحديث " كتاب الجامع " الذي جمع فيه الكتب الستة ، " كتاب التيسير إلى الوصول إلى أحاديث البشير " ، عرب رسالة في الفقه كتبها باللغة التركية لطفي باشا وزير السلطان سليمان ، وفي التصوف رسالة رد بها أقوال وعقائد الزائفين من المتصوفة ، وفي الأدب كتاب " تمثال الأمثال السائرة " الذي ألفه لسلطان المغرب الأقصى ، وكتاب كنز الأسماء في كشف المعمّى فيه " جمع كثير من أشعار المكيين وبعضاً من أخبار مكة ، كما كتب أشعاراً كثيرة ، وألف في التاريخ الأعلام بأعلام بلد الله الحرام ، والبرق اليماني في الفتح العثماني ، التذكرة ، سياحة نامة قطبي مكي ، طبقات فقهاء الحنفية ، الفتوحات العثمانية للأقطار اليمانية ، منتخب في التاريخ ، والودق الجماني ، والمنهل من البرق اليماني وهو اختصار لتاريخه البرق اليماني [١] .

(١) الهيلة : التاريخ والمؤرخون ، ص٢٥٣ .

١٠- الشيخ علي المتقي بن حسام الدين بن عبد الملك الهندي ٩٧٥هـ/١٥٦٧م كان رحمه الله على قدر عظيم من العلم والعمل وشهرته كاملة ، أخذ العلم عن أبا الحسن البكري والشيخ حمد بن محمد السخاوي قال الغازي أن مؤلفاته أكثر من مائة وعشرين مؤلفاً ما بين صغير وكبير ، أكبرها " كنز العمال " جمع فيه بين الجامعين ، الذيل للسيوطي رتبه فيه جمع الجوامع للسيوطي على الأبواب الفقهية ، وتصانيفه المطولات والمختصرات من العربية والفارسية متجاوزة عن المائة [1] .

١١- أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي المكي ت٩٧٤هـ/١٥٦٧م قدم مكة حاجاً مرتين ٩٣٣هـ ، ٩٣٧هـ ثم عاد إليها مرة ثالثة ليقيم فيها ٩٤٠هـ/١٥٣٢م مع أهله وبقى ٣٤ سنة بمكة حتى توفى بها ، أشتهر بكثرة التآليف فأخذ يضيف الكتب العديدة من كبيره وصغيره ، فانتشرت كتبه الفقهية الشهيرة " كشرح المنهاج للنووي " في مجلدين ، وشرحين على الإرشاد للمقري المسمى " الإمداد " ، والآخر المسمى " فتح الجواد" ، وشرح الهمزية البوصيرية ، وشرح الأربعين النووية ، " والصواعق المحرقة على أهل البدع والضلال والزندقة " و " الزواجر عن اقتراف الكبائر " ، شرح العباب المسمى بالإيعاب ، ومناقب أبي حنيفة النعمان والجواهر المنظم في زيارة قبر النبي

(١) عبد الله الغازي : نظم الدرر في اختصار نشر النور والزهر في تراجم أفاضل بمكة من القرن العاشر إلى الرابع عشر ، نسخة مصورة ميكروفيلم رقم ٣٥٧٣ مكتبة نصيف ، ص١٤ .

الأكرم ، الفتاوى الحديثية [١] ، وله أكثر من ٤٢ مؤلف تاريخي وقد وصلت مؤلفات ابن حجر إلى ١١٧ مؤلف في مختلف الفنون ، ويظهر من كثرة هذه المؤلفات أنه برع في كثير من العلوم كالتفسير والحديث وأصوله والفقه وأصوله وعلم الكلام ، وفي النحو والصرف والمعاني والبيان والسيرة والأخلاق والتاريخ [٢]

١٢- الشيخ عبد الله بن شيخ العيدروس ولد ٩١٩هـ/١٥١٣م بمدينة تريم بحضرموت ، حج مع والده حجته الأولى ٩٣٨هـ/١٥٣١م ، ثم حج ثانياً بمفرده في حياة والده ٩٤١هـ/١٥٣٤م وجاور بمكة ثلاث سنين يلازم فيها طلب العلم والعبادة ، وله مؤلفات عديدة منها : العقد النبوي والسر المصطفوي ، وشرحان على قصيدته المسماه تحفة المريد ، ونفحات الحكم على لامية العجم ، وديوان الشعر [٣] .

وكان من ضمن المجاورين عدداً لا بأس به ممن تبحر في العلوم الدنيوية كالطب والرياضيات والفلك والرحلات ، فكان عبد القادر بن محمد بن عبد القادر الأنصاري الجزيري

(١) عبد الله الغازي : نظم الدرر ، ص٥ .

(٢) الهيلة : التاريخ والمؤرخون ، ص٢١٦ .

، لمياء أحمد شافعي : ابن حجر المكي وجهوده في الكتابة التاريخية ، ط١ ، مكتبة ومطبعة الغد ، القاهرة ، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م ، ص٩٢ .

(٣) المعلمي : أعلام المكيين ، جـ١ ، ص٣٥ .

لمياء شافعي : ابن حجر المكي ، ص٦٨ .

ت٩٧٧هـ/١٥٧٠م ، إذ كان والده طبيباً وكحالاً فأخذ العلم عنه [(١)] وعين في ديوان الإنشاء ثم تولى كتابة ديوان أمرة الحج أمداً طويلاً في عهد المماليك ثم العثمانيين ، وبرع في علم الفلك الحسين بن عبد الله العيدوس ٩١٧هـ/١٥١١م الذي جاور بمكة سنتين [(٢)] ، ومحمد بن أحمد النشيلي الذي له اليد الطولى في علم الفرائض والحساب ت٩٨٢هـ/١٥٧٤م [(٣)] وعلي بن أحمد بن إسماعيل القلقشندي وكان على دراية بعلم الحساب والجبر والمقابلة [(٤)] . وكان هناك عدداً من النساء المجاورات ، وكن على مستوى عالٍ لا يقل عن مستوى الرجال، فهناك العالمة : فاطمة بنت القاضي كمال الدين محمود بن سيرين الحنفي المدعوه "ستيته"، لها نظم وقصائد مدحت بها الشريف بركات بن محمد وزوجته ، أسكنها الشريف أبو نمى الثاني محمد بن بركات مدرسة قايتباي للإفادة والاستفادة ، توفيت بالقاهرة ٩٤١هـ/١٥٣٤م [(٥)] .

والعالمة أم الخير ابنة علي بن محمد بن يوسف الاميوطي ،

---

(١) قطب الدين النهروالي : البرق اليماني في الفتح العثماني ، دار اليمامة للنشر ، الرياض ، ص٤٠٠ . الزركلي : الإعلام ، جـ٤ ، ص٤٤ ، الهيلة : التاريخ ، جـ١ ، ص٢٢٨ ، ترجمة رقم ٨٤ .

(٢) ابن العماد : شذرات الذهب ، جـ٨ ، ص٧٨ .

(٣) عبد الله الغازي : نظم الدرر في اختصار نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر ، ص١٥ .

(٤) السخاوي : الضوء اللامع ، جـ٥ ، ص١٦١ ، علي السليمان : العلاقات الحجازية ، ص٢٣٥ .

(٥) السخاوي : الضوء اللامع ، جـ١٢ ، ص١٠١ ، محي الدين عبد القادر العيدروس : النور السافر عن أخبار القرن العاشر ، بغداد ، ١٣٣٥هـ/١٩٣٤م ، ص٢٠٦ .

وزوجة محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، استجاز لها خلقاً كثير ، كانت تجلس في المسجد وكانت على قدر كبير من العبادة والاجتهاد وتوصف بالعقل والتودد والتدبر ، ورغبتها في البر والصلة والإطعام [١] .

نلحظ مما سبق أن النساء المجاورات كان لهن أيضاً دور في إثراء الحركة العلمية بمكة ، وبرع بعضهن في الشعر والأدب ، وقد أجازت لبعض من طلبة العلم مع محافظتهن على آداب الإسلام وأخلاقه، وكن مع علمهن محجبات ذوات دين عميق وأخلاق فاضلة ، ولم يحل الحجاب أو التخلق بالأخلاق الإسلامية بينهن وبين تحصيل العلم أو إيصاله لمن يستحقه من الرجال علماء أو طلاب علم .

لقد انتفع أهل مكة بعلوم هؤلاء العالمات ، كما أنهن أجزن لهم أمثال السخاوي الذي كان له نشاط في نشر العلم ، وإفادة الناس منه ، ومنح الإجازات لمن يستحقها ، وذلك أثناء مجاورته في مكة [٢] .

هذا غيض من فيض ، فعندما نطلع على تراجم العلماء والمجاورين في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، نجد أن هؤلاء المجاورين فعلاً أثروا الحركة العلمية بوافر نتاجهم العلمي ولم يقتصر هذا النتاج على هذه الكتب في مختلف العلوم ولكننا أيضاً نجد أنهم كانوا يقيدوا أخبار ومعلومات عن شيوخهم بما يفيد التعرف على السير العلمية لهؤلاء الشيوخ ويسهم في استكشاف الرصيد العلمي والأدبي لهم .

---

(١) السخاوي : المصدر السابق ، جـ١٢ ، ص١٤٤ .

(٢) المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٢٧٢ ، جـ٦ ، ص٣١٥ ، جـ١٠ ، ص٦ .

كما كانوا يرون إشعار شيوخهم وموضوعاتها وهي كثيرة ومتنوعة مثل المديح النبوي ، والحث على طلب العلم ، والحرص على الجهاد ، ووصف الكعبة .

ومما أسهم في إثراء حلقات الدرس بمكة وأغنى مصادر التأليف عند شيوخها ، أن هؤلاء المجاورين كانوا يعقدون حلقات دراسية يحضرها عدداً من طلاب العلم ، وكانت هذه الحلقات بمثابة مجمع علمي يحضره علماء من مختلف الأقطار ، فيلتقون هناك ويحتكون فيما بينهم ويتبادلون الأفكار ، ولا غرو فقد التقى علماء الأندلس بعلماء عراقيين في إحدى الحلقات الدراسية ، والتقى علماء المغرب بالعلماء العمانيين ناهيك من التقاء الجميع بالشيوخ المصريين المجاورين بمكة أيضاً [(١)].

وهذه الحلقات الدراسية تعج بالمناظرات ، وتطرح فيها المسائل العقدية ، كمسائل السخط والرضا ، وعرفت الحلقات الدراسية لوناً آخر من ألوان الثقافة ، وهي الحلقات الأدبية ، وكانت تعقد هذه الحلقات بالقرب من أبواب الحرم المكي مثل باب شيبة أو باب الصفا ، أو داخل المسجد الحرام ، أو كانت تضرب الخيام بساحات مكة لاستقبال طلبة العلم [(٢)] .

---

(١) بوتشيش : العلماء المجاورون بمكة ، ص٣٦٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ص ٣٦٩ ، ٣٧٠ .

وقد سبق أن أشرت إلى أهم العلوم التي كانت تدرس فالعلوم الدينية كعلم الأصول وعلم الكلام والقراءات ، فضلاً عن الفقه والحديث واللغة العربية من نحو وصرف وأدب ، أما أهم الكتب التي كانت تدرس في هذه الحلقات الدراسية فيمكن الوقف عليها من خلال الاطلاع على تراجم العلماء المجاورين مثل كتاب صحيحي البخاري ومسلم ، والكتب الستة ، وصحيح ابن حبان وكتاب البيان في تفسير القرآن وكتاب السنن لأبي داؤد السجستاني وكتاب التفسير لأحمد بن محمد الثعلبي النيسابوري [1] وألفية ابن مالك وغيرها .

كما دأب العلماء المجاورون بمكة على منح طلابهم إجازات علمية ، اعترافاً بانتهائهم من السماع وأخذ الدروس ، فقد روي لنا العز بن فهد في أحداث شهر شوال عام ٩٢١هـ/١٥١٥م أنه منح إجازة علمية لأحد طلابه فيقول : " وفي يوم الأربعاء حادي عشر الشهر ختم على الولد أبو السرور بن الفائز بن الشيخ فخر الدين بن العيني المدني بزيارة باب الندوة من المسجد الحرام الشمائل النبوية للترمذي ، وفي يوم الأحد ثامن عشر الشهر قرأ على يسيراً من أول صحيح البخاري – رحمه الله – إلى كتاب العلم ، ومن أول صحيح الإمام مسلم بن الحجاج القشيري – رحمه الله تعالى – إلى قوله ثم إن شاء الله متبدئون – والكتاب الأول من باب الإيمان ، وفي ثاني يوم قرأ أبواب من أول صحيح الإمام أبي داؤد السجستاني رحمه الله .. وأجرت لهما جميع ما

(١) بوتيشيش : المرجع السابق ، ص٣٦٨ .

يجوز لي وعني روايته " [١] .

وإلى جانب السماع والرواية التي حفلت بها الحلقات الدراسية في مكة من طرف العلماء المجاورين ، ثمة مظهراً آخر يتعلق بحمل الكتب من طلاب العلم والمعرفة عن شيوخهم المجاورين ، وفي هذا الصدد يحدثنا أحد العلماء المجاورين إذ يقول : التقى أحد علماء المغرب بوفد من الحجاج العمانيين فسألهم أن يمدوه بكتاب " كشف الغمة " وفي ذلك دليل على رواج الكتب وقراءتها وحملها إلى مختلف الأقطار الإسلامية [٢] ، وكان علي الكيلاني المجاور بمكة والساكن رباط ربيع ٩١٦هـ/١٥١٠م ، كان معه كتب أوقفها على الرباط الذي كان يقيم فيه خدمة لطلاب العلم وسكانه [٣] .

من البديهي أن يتمخض عن إقامة العلماء المجاورين في مكة تكاثر أعدادهم ، خاصة إذا علمنا أن هذه المجموعة من العلماء المجاورين تعتبر من صفوة فقهاء العالم الإسلامي علماً وصلاحاً ، لذلك كان كل طلاب العلم ورواد المعرفة يقصدونهم ، وهو ما أضفى على مكة إشعاعاً ثقافياً قل نظيره ، أما الذين عادوا إلى أوطانهم فقد رجعوا بعد أن صقلت ملكاتهم العلمية ، وأصبحوا بدورهم ممن تشدّ إليهم الرحال سعياً للأخذ عنهم ، فساعدوا على إثراء الحركة العلمية بمكة .

---

(١) العز بن فهد : بلوغ القرى ، القسم الثالث ، تحقيق ودراسة : عبد الرحمن أبو الخيور ، ص٧٧٦ .

(٢) بوتشيش : العلماء المجاورون بمكة ، ص٣٧٠ .

(٣) العز بن فهد : المرجع السابق ، ص٧٦٠ .

أهم الأماكن التي جسدت النشاط العلمي للمجاورين :

المسجد الحرام :

من الطبيعي أن تصبح مكة أكثر أجزاء الجزيرة العربية احتفاءً بالعلم واتصالاً بالثقافة ، نظراً لوجود الحرم المكي الشريف بها ، وكان المسجد منذ القرن الأول الهجري من أهم المراكز العلمية البارزة في الحياة العلمية الإسلامية ، ولم يفقد الحرم هذا المركز العلمي في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي بل ظل محتفظاً به ، وقد ازدحم المسجد الحرام في ذلك العهد برجال الحديث والقراء وأصحاب الفتوى والتفسير ، وظلت حلقاتهم تزداد اتساعاً خاصة في موسم الحج الذي يعتبر مؤتمراً إسلامياً يلتقي فيه أبناء العالم الإسلامي وعلى رأسهم العلماء المجاورون فيتدارسون فيما بينهم في شتى العلوم ، ثم يعود أكثرهم إلى بلادهم ، وقد استفادوا وأفادوا ، حتى أن حلقات الدرس في المسجد الحرام بلغت حوالي مائة وعشرين حلقة تقريباً [(١)] تدرس فيها المذاهب الأربعة .

كانت ساحات المسجد الحرام تعج بالكثير من الطلاب والمدرسين والعلماء الذين قدموا إلى مكة للاستفادة والدراسة على أيدي علمائها وفقهائها فكان لكل هؤلاء دور في النهوض بالحركة

(١) أحمد السباعي : تاريخ مكة ، ط١ ، جـ٢ ، مطابع قريش ، مكة ، ١٣٨٣هـ ، ص٢٠٤ .

العلمية بمكة [١] .

لم تنقطع صلات الكثير من المجاورين بعد رحيلهم عن مكة بفقهائها وعلمائها ومن تتلمذوا على أيديهم ، بل كان الاتصال بينهم قائماً ، وطلب المشورة والنصح منهم مستمراً ، ولبعضهم مكانة متميزة بين مشائخهم في مكة أثمرت صروحاً علمية شامخة انتشرت في تلك البلاد نتيجة ذلك التواصل العلمي الروحي .

فكان الشيخ أحمد بن محمد الملقب بعلاء الدين والد العلامة قطب الدين الحنفي النهروالي يدرس بالمسجد الحرام قدم مكة ، وجاور بها سنين عديدة ، وتوفي بها ٩٤٩هـ/١٥٤٢م [٢] .

والعالم أحمد بن داؤد المالكي المصري الأصل ، وصفه القطبي بقوله : " كان من علماء المالكية له درس عام بالحرم الشريف [٣] ، والشيخ عبد الحق محمد بن عبد الحق أحمد السنباطي القاهري المكي الشافعي أقرأ الطلبة بالمسجدين الشريفين [٤] .

والشيخ عبد الله بن أسعد سندي المدني ثم المكي الحنفي ٩٨٤هـ/١٥٧٦م قدم مكة وجاور بها وتصدر للتدريس بالمسجد

(١) بندر محمد الهمزاني : علاقات مكة المكرمة الخارجية في عهد أسرة الهواشم ، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى، مكة ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م ، ص٣٠٦ .

(٢) مرداد : مختصر نشر النور والزهر ، ص١٠٥ .

(٣) عبد الله غازي : نظم الدرر في اختصار نشر النور والزهر ، ص٤ .

(٤) المعلمي : أعلام المكيين ، ص ٥٢٤ ، ٥٢٥ .

الحرام، وأخذ عنه جمع كبير منهم علي القاري ، وعمر البصري والشيخ أحمد بن إبراهيم بن علان والشيخ عبد الرحمن المرشدي والإمام عبد القادر الطبري [١] . وكذلك الشيخ أبو بكر بن حسين بن محمد بن أحمد عبد الله العيدروس ٩٩٧هـ/١٥٨٨م نزيل مكة ، ولد بتريم تصدر للتدريس بالمسجد الحرام وأخذ عنه جماعة من العلماء ، ومنهم السيد محمد الشلي الذي لازمه عشرين سنة [٢] .

هذه الدروس التي تقام بالمسجد الحرام كانت تقام بالمجان من أجل إفادة طلبة العلم ، لكن هذا لا يلغي قيام بعض المجاورين بالتدريس بالحرم المكي مقابل أجر معين ، كما كان بعض المجاورين يقوم بتأديب الأطفال وإقرائهم في الحرم [٣] ، فكان العالم جمال الدين محمد طاهر الهندي الملقب بملك المحدثين ٩١٣هـ/١٥٠٧م جد في طلب العلم حج وجاور وأخذ العلم عن الشيخ أبي الحسن البكري ، وابن حجر الهيتمي ، وعلى بن عراق ، وعلى المتقي الهندي المكي ، وجار الله بن فهد وغيرهم ، اهتم بتعليم الأولاد وأنفق أموالاً طائلة في ذلك [٤] .

(١) مرداد : مختصر ، ص٣٠١ .

(٢) المحبي : خلاصة الأثر ، جـ١ ، ص٨١ .

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، جـ٦ ، ص١٣٠ .

(٤) ابن العماد : شذرات الذهب ، جـ٨ ، ص٤١٠ ، لمياء شافعي : ابن حجر ، ص٦٧ .

الواقع أن التدريس بالحرم الشريف لم يكن من الأمور السهلة إذ أنه لا يستطيع أن يقوم بهذه المهمة إلا من لديه كفاءة علمية عالية وإلا كان عرضة للسخرية والاستهزاء ، لذا قام بالتدريس فيه أكابر العلماء من المجاورين وكان نظام الحلقات هو النظام المتبع وكانت هذه الحلقات وسيلة مهمة من وسائل نشر العلم والثقافة بطريقة سهلة وميسرة وذلك مما أوجد الرغبة لدى الكثيرين من الناس في تلقي العلم ونشره [1]. وكانت هذه الحلقات تعقد بالقرب من أحد أبواب الحرم المكي مثل باب شيبة أو باب الصفا أو داخل المسجد الحرام .

المدرسة :

حظيت مكة المكرمة بنصيب وافر من اهتمام المماليك والعثمانيين ، فأنشئوا المدارس المتعددة ، وأصلحوا ما كان قائماً من قبل ، لكي تكون نوافذ مشعة في كل مكان ، كما أجزلوا العطاء لأهل الحرم والمدرسين والقضاة ، وحين نتتبع هذه المدارس التي أقيمت بمكة نجد أن عدداً كبيراً منها أنشأها حكام مسلمون من خارج مكة المكرمة كالهند أو اليمن أو المماليك أو العثمانيين ، وذلك يرجع لمكانة مكة في نفوس المسلمين ، فهم يشعرون دائماً بانتمائهم إلى رابطة واحدة ، هي رابطة الدين الحنيف ، وكان دافع هؤلاء المقتدرين لإنشاء هذه المدارس هو وجود العلماء والفقهاء والقضاة

(١) الهمزاني : علاقة مكة ، ص٣٠٧ .

المجاورين في القرن العاشر بالحجاز بأعداد كبيرة مع تعمق في مختلف الدراسات [١].

كان المجاورون يقومون بالتدريس في تلك المدارس أثناء مجاورتهم بالحرمين الشريفين فقد قام بالتدريس في المدرسة الكتبائية التي أنشأها أحد سلاطين الهند من إقليم كجرات ٨٤٥هـ/١٤٤١م استمرت حتى النصف الثاني من القرن العاشر الهجري وقد درس فيها قطب الدين النهروالي (القطبي) ووالده أحمد [٢] .

والمدرسة الباسطية ومؤسسها خليل بن إبراهيم الملقب بالزيني عبد الباسط ، ناظر الجيوش في أيام الظاهر برسباي ، واستمرت المدرسة حتى أواخر القرن العاشر الهجري تحت إشراف المجاورين أئمة المقام الحنفي [٣] .

ومدرسة قايتباي الذي أمر ببنائها السلطان المملوكي كانت تدرس فيها المذاهب الأربعة وقرر أن يكون بالمدرسة أربعة مدرسين وأرسل إليها مجموعة من الكتب عين لهذه المدرسة الشيخ محمد بن سليمان المغربي مشرفاً على أوقاف المدرسة وهو من أكبر علماء المغرب جاور بمكة بعد أن أخذ العلم عن علماء المغرب ومصر وآسيا

---

(١) العز بن فهد : بلوغ القرى ، القسم الثالث ، تحقيق ودراسة : عبد الرحمن أبو الخيور ، ص٧٧٥ .

(٢) عبد الرحمن صالح : تاريخ التعليم في مكة ، ط ، دار الفكر ، ١٣٩٢هـ/١٩٧٣م ، ص٧٤ .

(٣) النهروالي : تاريخ الأعلام ببيت الله الحرام ، المكتبة العلمية ، مكة المكرمة ، ١٣٧٠هـ ، ص١٨٦ ، السنجاري : منائح ، جـ٢ ، ص٢٦٠ .

الصغرى وكان متنفذاً بمكة حتى أن الشريف بركات كان يتردد على داره يومياً ، وقد عين في هذه المدرسة محمد الغزالي الغداسي مدرساً للفقه المالكي وعبد الله العباسي مدرساً للحديث [١] .

أما المدرسة السليمانية التي أمر السلطان سليمان القانوني ببنائها ٩٢٦- ٩٧٤هـ/١٥١٩- ١٥٦٦م والتي يدرس فيها المذاهب الأربعة في بناء يتألف من أربعة أقسام أطلق عليها المدارس الأربعة [٢] عين فيها القطبي مدرساً ٩٧٥هـ/١٥٦٧م للمذهب الحنفي ، وعين حسين بن حسين بن أبي بكر الحسيني شيخ الحرم مدرساً للمذهب المالكي ، والمدرسة الشافعية للشيخ عبد العزيز الزمزمي .

إن مهنة التدريس التي قام بها أكثر المجاورين من المهن الرفيعة والخطيرة لا يتصدى لها إلا العلماء الأجلاء .

الأربطة [٣] :

إن الأربطة بمكة كانت لها علاقة وثيقة بالمجاورين فقد خصصت أربطة للعلماء وطلاب العلم منها رباط الماس أغا ، فقد أدى

(١) عبد الرحمن صالح : تاريخ التعليم ، ص٧٦ .

(٢) ناجي معروف : المدارس الشرابية – واسط – بغداد – مكة ، ط٢ ، بغداد ، د . ن ١٩٧٥م ، ص٣٦٢ ، عبد الكريم القطبي : إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام ، دار الرفاعي ، الرياض ، ١٤٠٣هـ ، ص١١٤ .

(٣) الرباط : ج أربطة أو رباطات ، وهي المعاهد المبنية والموقوفة للفقراء ، انظر : المنجد الأبجدي ، ط٤ ، دار المشرق ، بيروت ، ص٤٧٢ ، مادة ربط .

توفر الراحة والمسكن والمأكل إلى تفرغ هؤلاء المجاورين إلى الإقبال على طلب العلم والتفقه في الدين ، إضافة إلى أن عدد كبير من الأربطة وصلها كم كبير من الأموال والكتب على سبيل الوقف لإتاحة الفرصة لهؤلاء المجاورين للمطالعة والدراسة ضمن جدران تلك الأربطة ، فكان المجاورون ينتهزون فرصة اجتماعهم لتبادل المعلومات والإجازات ، مثل رباط الاغابهرام ، ورباط الخواجا فخر الدين العجمي ، ورباط الشريف أبو نمى بن بركات ، ورباط الأميرة نواب بيقم ورباط بهوبال وغيرها كثير [1] ، كان نزلاء هذه الأربطة يتدارسون ويتذاكرون وينتهزون فرصة اجتماعهم لتبادل المعلومات والإجازات ، وقد زاد عدد هذه الأربطة في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي حتى أنها وصلت إلى حوالي سبعة وأربعين رباطاً بمكة [2] ، وهذا يوضح دور هذه الأربطة وتواجد المجاورين بها لإثراء الحركة العلمية بمكة ، ويروي لنا العز بن فهد أنه كان العالم المجاور علي الكيلاني يسكن رباط ربيع ٩١٦هـ/١٥١٠م وكان معه كتب أوقفها على الرباط الذي كان يقيم فيه خدمه لطلاب العلم وسكانه [3] .

---

(١) علي عبد القادر الطبري : الأرج المكي ورقة ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) نفس المصدر السابق والورقة ، وقد أحصت رسالة الدكتوراه للطالب : حسين عبد العزيز شافعي : الأربطة بمكة المكرمة في العهد العثماني ، رسالة دكتوراه بأم القرى ، مكة ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م ، عدد الأربطة ١٥٧ رباط .

(٣) العز بن فهد : بلوغ القرى ، تحقيق ودراسة : عبد الرحمن أبو الخيور ، ص٧٦٠ .

كما يذكر لنا ابن العماد عن المجاور عمر بن أحمد بن علي الشماع الحلبي ت٩٣٦هـ/١٥٢٩م أنه كان ينقل بعض الكتب ويلخصها في الرباط الذي بقرب دار الخيزران إلى جانب الصفا ، وألف عدداً من الكتب بمكة [1] كما سبقت الإشارة لذلك ، وهذا ما جعل علماء مكة وطلابها يرتادون هذه الأربطة ليطلعوا على ما تحويه مكتباتها من كتب وعلوم مهمة .

كانت بعض هذه الأربطة ملتقى العلماء لنزولهم والسكن بها كرباط داؤد باشا[2] ، ومن ضمن من نزل به من العلماء : العالم سعيد بن عبد الرحمن بابقي الشيباني الشافعي ، ارتحل في طلب العلم إلى أن ذاع صيته ، فاستقر بمكة [3] ، وكذلك العالم عيسى ابن محمد بن محمد بن أحمد الثعالبي الهاشمي ، ارتحل في طلب العلم ودرّس بالمسجد الحرام [4] .

كما كانت تقام في بعض الأربطة حلقة علمية لتدريس علم الحديث وغيره من العلوم ، ومن تلك الحلقات ، حلقة العالم المحدث

---

(١) ابن العماد : شذرات الذهب ، جـ٢ ، ص ص ٢١٨ – ٢٢٠ .

(٢) داؤد باشا الخادم والي مصر ، كانت ولايته على مصر ٩٤٥هـ/١٥٣٨م وكان رجلاً حليماً محباً للعلماء ، أوقف هذا الرباط على طلبة العلم ، ويقع الرباط عند باب الداودية ما بين باب إبراهيم وباب العمرة . انظر : النهروالي : البرق اليماني ، ص٧٨ .

(٣) المحبي : خلاصة الأثر ، جـ٢ ، ص ص ٢٠٩- ٢١٠ .

(٤) نفس المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ص ٢٤٠- ٢٤٣ ، عبد الله الغازي : نظم الدرر ، ص ص ٣٤- ٣٥ .

عبد القادر بن محمد [1] إمام المسجد الحرام وكان درسه في صحيح البخاري ، ومن طلبته الشيخ أحمد الشربيني ، وذلك سنة ٩٩٩هـ/١٥٩٠م [2] .

أهم الوظائف التي تقلدها المجاورون :

يقدم المجاورون إلى مكة فيهدون إليها شذرات من ثقافاتهم وعلومهم ، وتهديهم مكة بدورها علماً واسعاً ومعارف نافعة ، ويجدها الناس قد هيأت لهم جماعات من العلماء وحجافل من المثقفين يستجيبون لتطلعاتهم ويجيبون عن أسئلتهم .

وقد استخلصنا من المطالعة والبحث أن ظاهرة المجاورة بمكة تشكل ظاهرة ثقافية مستمرة ومفتوحة خلال السنة وبدون انقطاع ، لذا استطاعت مجموعة كبيرة من المجاورين حمل شغل كثير من الوظائف المهمة ، خاصة إذا علمنا أن هذه المجموعة من المجاورين تعتبر من صفوة فقهاء العالم الإسلامي علماً وصلاحاً .

لذا كانت المناظرات العلمية تتم في أمكنة متعددة في المكتبات العامة أو المساجد والمدارس أو الرباطات ، ولم تقتصر على وقت معين ، وقد تنافس العلماء المجاورين في الاشتراك في المناقشات لإظهار قدرتهم العلمية والفكرية وبيان قوة حجتهم ، وكان بعضهم

(١) عبد القادر بن محمد بن يحيى الطبري : إنباء البرية بالأنباء الطبرية ميكروفيلم ، معهد إحياء التراث الإسلامي ، جامعة أم القرى ، رقم ١٨٣٥ ، ورقة ٣٦- ٣٧ .

(٢) نفس المصدر السابق ورقة ٣٦- ٣٧ .

يرمي من وراء ذلك أحياناً إلى إظهار استحقاقهم لوظيفة معينة ، كالإمامة أو الخطابة أو الإفتاء ، ويحدثنا ابن فهد أن وظيفة القضاء أحياناً كان يتم إعداد بعض المناظرات العلمية والفقهية لإثبات من هو أولى بها من الآخرين (١) .

فكان من أهم الوظائف التي تقلدها المجاورون منصب **القضاء** وهي في المرتبة الثانية بعد الولاية ، إذ كان تعيين القاضي في يد السلطان (٢) ، وقد تقلد كثير من المجاورين هذا المنصب نظراً لاتساع معارفهم وغزارة معلوماتهم الشرعية ، فساروا في القضاء سيرة حسنة بعفة ونزاهة ، وهناك الكثير ممن تولى القضاء مثل العالم الحسين بن محمد بن الحسن الديار بكري ت٩٨٢هـ/١٥٧٤م فقد تولى القضاء بمكة (٣) والعالم عبد الباقي بن علاء الدين العربي الحلبي الحنفي ٩٧١هـ/١٥٦٣م الذي اشتغل بطلب العلم ، حتى وصل إلى مجلس المفتي علاء الدين الجمالي ولازمه فتولى قضاء حلب ثم تولى القضاء بمكة ، ثم قضاء بروسه ، ثم قضاء القاهرة ، ثم قضاء مكة ثانية (٤) .

وقطب الدين النهروالي الذي تولى منصب الإفتاء والقضاء ٩٣٢هـ/١٥٢٥م والتدريس ورئاسة الكتاب وغيرها من الوظائف التي

---

(١) العز بن فهد : بلوغ القرى ، القسم الثالث ، دراسة وتحقيق : عبد الرحمن أبو الخيور ، ص٧٦٧ .

(٢) عائشة باقاسي : بلاد الحجاز في العصر الأيوبي ، ط١ ، نادي مكة الثقافي ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، ص١٠٨ .

(٣) مرداد : المختصر ، ص١٧٩ ، الهيلة : التاريخ ، ص٢٣٤ ، الزركلي : الإعلام ، جـ٢ ، ص٢٥٦ .

(٤) المعلمي : أعلام المكيين ، جـ٢ ، ص٦٩٣ .

سنذكرها في موضعها ، وكذلك عبد الكريم بن محب الدين أبي عيسى علاء الدين أحمد بن محمد القطبي ، الذي تولى الإفتاء والقضاء بمكة عام ٩٨٢هـ/١٥٧٤م كما تولى التدريس بالمدرسة السليمانية ثم المرادية [١] كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، وكان واسع الإطلاع متفقه ، والعالم تقي الدين حزن ت٩٨٧هـ/١٥٧٨م نعته القطبي بقوله : " مفتي المسلمين وصدر المدرسين وصفوة العلماء " ولي القضاء نيابة عن القاضي هداية الله [٢] .

من الملاحظ أنه من خلال الإطلاع على التراجم نجد أن العديد من الأسر المجاورة قد تقلد معظم أبنائها القضاء ، وبذلك تركز هذا المنصب بأيديهم كأسرة القطبي مثلاً الذي ولي القضاء وأبناءه وأولاد عمومته .

ومن الوظائف التي شغلها بعض المجاورين **مشيخة الخدام بالحرم** لارتباطها بالحرم ، ووظيفة **الإمامة والخطابة** وهي الوظائف الهامة فلا يتقلدها إلا من كان ذا مكانة علمية كبيرة [٣] ، يقول ابن العماد : " أن السلاطين وخاصة قايتباي كانوا محتاطين في الوظائف الدينية لا يولون شيئاً من ذلك إلا الأصلح بعد التروي والتفحص " [٤] .

(١) المحبي : خلاصة الأثر ، جـ٢ ، ص٨ ، مرداد : المختصر ، ص٢٨ ، الهيلة : التاريخ ، ص٢٦٥ .
(٢) المعلمي : أعلام المكيين ، ص٣٢٢ .
(٣) مرداد : المختصر ، ص٢٧١ .
(٤) ابن العماد : شذرات الذهب ، جـ٨ ، ص٧ .

حيث كان لبعض الخطباء بالمسجد الحرام تأثير بالغ على نفوس المصلين وأثر ملموس في إجابة الدعاء ، يتناقل قصصهم وأحاديثهم المجتمع المكي والوسط العلمي بالكثير من الإجلال والإكبار ، فقد تولى تقي الدين حزن الخطابة بمنى أيام الحج [١] ، ومن ضمن الوظائف التي تولاها المجاورون **إقامة الآذان** بالحرم ، فيقول العز بن فهد : مات الشيخ عبد القادر بن قاسم اليمني الأصل المكي المؤذن والمقرئين في المحامل ، كذلك قوله : الخطيب محب الدين أحمد بن القاسم النويري [٢] .

بالإضافة للمهن السابقة فإن مهنة التدريس من المهن الأساسية المهمة التي مارسها المجاورون في مكة رغبة في طلب العلم ونشره خاصة العلم الشرعي وذلك سواء كان في الحرم الشريف أو المدارس الموقوفة المنتشرة في ذلك العصر أو الأربطة والكتاتيب وقد سبق أن ألمحت إليها عند الحديث عن الأماكن التي جسدت نشاط المجاورين العلمي بمكة ، كما قام بعض المجاورين بتأديب الأطفال وإقرائهم في الحرمين الشريفين ، فمن خلال الرجوع للتراجم تبين أن تأديب الأطفال بالحرمين الشريفين يكاد يكون مقتصراً على هؤلاء المجاورين [٣] .

---

(١) المعلمي : المرجع السابق ، ص٣٢٢ .

(٢) العز بن فهد : بلوغ القرى ، القسم الثالث ، تحقيق ودراسة : عبد الرحمن أبو الخيور ، ص٨٨٣ .

(٣) العز بن فهد : بلوغ القرى ، القسم الثاني ، دراسة وتحقيق : عليان المحلبدي ، ص٢٠٧ .
=

كما عمل غالبية المجاورين في العديد من الأعمال المهنية المختلفة التي تتعلق بإثراء الحركة العلمية وإنعاشها في مكة مثل نسخ الكتب وتجليدها وتصحيحها و بيعها .

بطبيعة الحال كانت هذه الوظائف تدر عليهم دخلاً ثابتاً لا بأس به يستعينون به على أمور حياتهم ، إلا أن بعضهم كان يتعفف عن أخذ هذه المبالغ متعللا بأن من كمال آداب المجاورة البعد عن الأعمال التي من ظاهرها عبادة بينما في جوهرها فائدة دنيوية .

مما سبق يتضح أن المجاورين في مكة كان لهم دور بارز في تنشيط الحركة العلمية ، كما أنهم لم يكونوا منقطعين عن الدنيا ، وإنما مارسوا العديد من الأعمال وتقلدوا الكثير من الوظائف مدللين بذلك على أن الإسلام دين علم وعمل وليس دين رهبنة أو عبادة فقط .

أهم الأسر العلمية بمكة ذات الأصول المجاورة :

لقد أشرت في ثنايا الدراسة أن هناك من المجاورين الذين اصطحبوا معهم أسرهم أثناء مجاورتهم ، ومنهم من تزوج بها ، فكان وجودهم بها قوياً واستقرارهم فيها مستمراً .

فمن البديهي أن تتمخض عن ظاهرة المجاورة بمكة مجموعة من العلماء استقرت نهائياً ، واتخذوا مكة موطناً إلى أن أخذتهم

=

عائض محمد الزهراني : التاريخ السياسي والحضاري لمكة المكرمة من خلال كتاب نيل المنى ، جـ٢ ، ص٥٩٦ .

المنية ، فالمطلع على كتب الطبقات والتراجم نجد أسماء عديدة لعلماء ممن اختاروا الإقامة في مكة يشار إليهم باسم (نزلاء مكة) أو يقال (سكن مكة) أو (المكي) وبما أن غالبيتهم كان على مستوى علمي عالٍ ، فإن ذلك بالتالي أثر على أبنائهم من بعدهم ، إذ أصبحت السمة الغالبة على هذه الأسر هي السمة العلمية فانتشر الوعي الثقافي والتطلع العلمي في المجتمع المكي وبدت فيها ظاهرة دالة على عمق هذه المدينة المقدسة بالثقافة والعلوم ، ذلك أن مكة عرفت منذ القرن الخامس الهجري عدداً كبيراً من العوائل العلمية التي أخذت على عاتقها إبراز المكانة العلمية لمدينتهم ، وظلت كل عائلة يتداول أبناؤها بنود المعرفة ، ويرفعون أعلام الثقافة أباً عن جد ، فتعيش كل عائلة علمية ما يكتب لها من حياة ، وقد يبقى بعضها منتجاً يزود المجتمع المكي بالعلماء والمثقفين لقرون عديدة .

ومن العوائل التي ترجع أصولها إلى المجاورين للدلالة لا للحصر :

بنو الطبري (الطبور) : قرشيون وردوا من طبرية بفلسطين ، وظهرت مكانتهم في العلم في القرن السادس الهجري إلى الثالث عشر [1] .

فيذكر لنا الطبري في ذلك : " أن أول من قدم منهم إلى مكة

(١) الهيلة : أثر الحج في الحياة الثقافية والاجتماعية عبر العصور ، بحث ألقي في ندوة الحج الكبرى ، مكة ١٤٢٤هـ ، ص٤٦٦ .

المكرمة هو الشيخ رضي الدين أبو بكر ابن محمد إبراهيم الحسيني الطبري ٥٧٠هـ/١١٧٤م والذي أنجب سبعة أولاد ، أصبحوا كلهم فقهاء وعلماء ومدرسين وقضاة وخطباء ، وحتى توفي ٦١٣هـ/١٢١٦م [١] منهم القاضي محمد بن محمد الطبري الشافعي ، والعالم نجم الدين بن محي الدين الطبري .. وهو فاضل كثير الصدقات للمجاورين ، حسن الأخلاق كثير الطواف والمشاهدة للكعبة معروف بالجود [٢] وتولى القضاء بعده ابنه شهاب الدين ثم محب الدين الطبري عام ٨٠٧هـ/١٤٠٤م ، وقد ظهرت في هذه الأسرة ٣٦ امرأة عالمة أجازت لكثير من علماء مكة [٣] ، فقدمت هذه الأسرة الطيبة عدداً كبيراً من الشخصيات العلمية القديرة التي كان لها أثر كبير في تنشيط الحياة العلمية بمكة ، وأثرت حياتها ، وقد تولوا مناصب كبيرة كالقضاء والفتوى والخطابة والإمامة والتدريس ، وكانوا على المذهب الشافعي منذ قدومهم مكة وبرزوا في الفقه الشافعي [٤] .

أسرة النويري : إذ يعتبر شهاب الدين أحمد بن عبد العزيز القاسم بن عبد الرحمن النويري ت٧٣٧هـ/١٣٣٦م ولد بالقاهرة من

---

(١) الطبري : الأرج المسكي في التاريخ المكي ، ورقة ١٣٩ .

(٢) علي بن حسين السليمان : العلاقات ، ص١٤٤ .

(٣) عائض الردادي : الأسرة الطبرية ، ط١ ، دار الرفاعي ، الرياض ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م ، ص٤٤ .

(٤) عائض الردادي : الأسرة الطبرية ، ط١ ، دار الرفاعي للنشر ، الرياض ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م ، ص٣٦ ، ٣٧.

أقدم من جاور منهم في مكة [(١)] ، إذ كان كثير التردد على الحجاز ، فقدم كل سنة إلى مكة ثم تزوج بابنة قاضي مكة نجم الدين الطبري ورزق منها بعدد من الأبناء أصبحوا قضاة وخطباء لمكة تولى إمامة المالكية بالحرم وكذلك محمد بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد النويري القاهري المكي ورد على مكة فأقام بها وأصبح خطيب الحرم [(٢)] كما تولى القضاء نور الدين أبي اليمن ، وبقيت مشيخة الحرمين فيهم حتى نهاية الدولة المملوكية[(٣)] .

أسرة الفاس المغربية الأصل : وهم حسنيون وردوا من فاس وأمتاز منهم التقي بتأليفه في القرن التاسع وسعة علمه وعلو الهمة وشرف المقصد والعدل في الأحكام وعني بتاريخ مكة عناية عظيمة فترك عدة مؤلفات مثل شفاء الغرام في أخبار البلد الحرام ، وتحفة الكرام بأخبار البلد الحرام ، والزهور المقتطفة في تاريخ مكة المشرفة، والعقد الثمين وغيرها ، هذه الأسرة زاخرة برجالها العلماء ، كالقاضي أحمد بن عبد الرحمن الفاسي ولد ٧٥٤هـ/١٢٥٣م الذي ولي مشيخة الحرم وقضاة المالكية [(٤)] ، منهم أئمة المقام الحنبلي وقضاة الحنابلة ، ارتبطت العائلة الفاسية بصلات نسب مع بعض العائلات بمكة مثل عائلة النويري ، وتزوجت أم هاني الفاسية أخت

(١) السخاوي : الضوء اللامع ، جـ٢ ، ص٣٥ .

(٢) الشوكاني : البدر الطالع ، جـ٢ ، ص٢٥٦ .

(٣) علي بن حسين السليمان : العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك ، ص١٤٦،١٤٥ .

(٤) السخاوي : الضوء اللامع ، ج٢ ، ص٣٥.

تقي الدين بأمير مكة حسن بن عجلان ، وكان جد الأسرة أول من تولى القضاء بمكة وهو أحمد بن عبد الرحمن الفاسي المكي ولد ٧٥٤هـ/١٢٥٣م [(١)] .

بني فهد أو الفهود : وهم هاشميون وردوا من اصفون بمصر ، ظهروا في القرن الثامن واستمروا إلى ما بعد القرن العاشر ، وتعد جهود أسرة بني فهد في نشر الحديث وتاريخهم لمكة مفخرة من مفاخر علماء مكة في القرن العاشر ، وظلت هذه الأسرة تؤدي دورها وخدماتها للعلوم الشرعية وإعلامه حتى نهاية القرن العاشر فمنهم النجم عمر بن فهد ، وعبد العزيز بن عمر ، فقد كانت نشأته في بيت علم وشرف وتربى بعناية أبيه وجده ، ونهل من علومهما وفوائدهما الكثير ، ثم جرى على سننها وسنن المحدثين قبلهما ، وقام بعدة رحلات علمية ، وسمع على كثير من العلماء، ويبدو أن ولده جار الله قد سمع كذلك منه ومن جده .

أثنى عليه السخاوي فقال : " وليس بعد أبيه في بلاد الحجاز من يدانيه في الحديث ، مع المشاركة في الفضائل ، وجودة الخط وألفهم وجمال الهيئة .. وهو حسنة من حسنات بلاده ، وقد سار العز سيرة أبيه وجده في التصنيف والتاريخ لبلده الأمين ، والترجمة لشيوخه

(١) الهيلة : التاريخ والمؤرخون بمكة ، ص١١٤ .

وفهرسة مروياته ، ولم يكن له عناية كبيرة بالأدب وفنونه " [١] .

بنو القسطلاني : وردوا من توزر بالجريد جنوب البلاد التونسية في القرن السابع الهجري.

ومنهم محمد بن أحمد بن علي القسطلاني التوزري المكي قطب الدين ، أبو بكر ت٦٨٦هـ/١٢٨٧م ولد بمصر ٦١٤هـ وورد إلى مكة مع أبيه وعمره خمس سنوات ، ثم رحل في طلب العلم وعاد إلى مكة ليكون بين كبار محدثيها فدرّس وأفتى بالحرم ، تولى قضاء مكة ٦٤٥هـ/١٢٤٧م ألف في العقيدة والحديث [٢] .

بنو الحطاب : وردوا من طرابلس الغرب خلال القرن العاشر ومنهم الشيخ محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحطاب الرعيني الأندلسي الأصل الطرابلسي المكي المالكي أبو عبد الله شمس الدين ت٩٥٤هـ/١٥٤٧م [٣] ، قدم مكة سنة ٨٧٧هـ وأخذ العلم عن السخاوي، وأنجب أبناءه فأصبحوا من شيوخ العلم بمكة وأصبح بيت السادة الحطاب بمكة بيت علم وثروة عظيمة ، ظهر منهم العديد من العلماء في القرن الثاني عشر الهجري [٤] ، ظهر من أولاده ثلاثة هم

---

(١) الهيلة : المرجع السابق ، ص١٧ .

(٢) ابن العماد : شذرات الذهب ، جـ٥ ، ص٣٩٧ ، مرداد ، المختصر ، ص٤٩٥ .

(٣) عمار جحيدر : الفقيه المكي المالكي محمد بن محمد الحطاب ٩٠٢- ٩٥٤هـ/١٤٩٧- ١٥٤٧م ، بحث ألقي في ندوة الحج الكبرى ، مكة ، ١٤٢٣هـ ، ص٢ .

(٤) مرداد : مختصر من نشر النور والزهر ، ص٤٢١ .

الجمال محمد ، والزيني بركات ، والشهاب أحمد ، زوجهم في حياته ورأى أولادهم وصار أكثرهم من المفتين والمدرسين بحرم الله [١] .

كان عميد أسرة الحطاب الفقيه محمد بن أحمد الحطاب من أبرز علماء الأسرة وأحد أئمة المذهب المالكي بمكة المكرمة ، وتعددت آثاره في مختلف العلوم والفنون فبلغت نحو خمسة عشر عملاً منجزاً ونحو عشرين لم تتم ، ومن آثاره الفقهية : مواهب الجليل لشرح مختصر الخليل ، وتحرير الكلام في مسائل الالتزام ، وتحرير المقالة في شرح نظائر الرسالة ، وقرة العين بشرح ورقات إمام الحرمين [٢] .

وأسرة بني الضياء : قضاة مكة ، والذين ينتسبون إلى جدهم محمد بن محمد بن سعيد بن عمر العلامة ضياء الدين الهندي ت٧٨٠هـ/١٣٧٨م [٣] .

هذه أمثلة قليلة لبعض الأسر المجاورة التي استقرت بمكة والتي لاحظنا من خلالها علو المكانة العلمية التي كانوا عليها ، خاصة وأن وظيفة القضاء تمركزت بأيدي أكثرهم وهي من الوظائف المهمة ، إذ تعتبر في المرتبة الثانية بعد الولاية ، مدللين بذلك على ما للجوار من فضل كبير في مجتمع مكة ، بتقديم هذه النماذج الطيبة من الأسر الكريمة التي جاورت فيها ، كما أنه لا بد وأن

---

(١) العيدروس : النور السافر ، ص٢٣٧ .

(٢) عمار جحيدر : الفقيه المالكي ، ص٣ .

(٣) بن تغربردي ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م : الدليل الشافي ، جـ٢، ص ٦٩١ .

يكون وجودهم واستقرارهم في مكة كان دافعاً وحافزاً لغيرهم للقدوم للمجاورة خاصة وأن سبل الراحة والاستقرار كانت متوفرة في هذه الفترة وهي استجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام : { رَّبَّنَآ إِنِّى أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ} سورة إبراهيم آية ٣٧ .

لقد أسهم أبناء هذه البيوتات العلمية في إرساء قواعد مجد علمي تليد وشرف ثقافي فاخر بما ألفوا من الكتب والمجاميع والرسائل ، وبما ألقوا من الدروس ، وأداروا من الحوارات العلمية والمناظرات ، وبما جمعوا من شهادات وإجازات علمية تقاطرت عليهم من كل مراكز المعرفة التي حوتها البلاد الإسلامية .

حصيلة القول ، أن العلماء المجاورين بمكة شكلوا ظاهرة علمية فريدة ساهمت في إثراء الحركة العلمية بمكة حتى أصبحت محط أنظار علماء المسلمين وطلبة العلم والمعرفة ، ومركز إشعاع ثقافي حتى أصبحت مجمعاً للعلماء من كافة أصقاع العالم الإسلامي ، فانتشرت بها كل ألوان الثقافة والمعرفة واستوطنها العلماء المجاورون ، كما قصدها الطلاب للحصول على شهادات علمية وحملوا منها أمهات الكتب إلى أقطارهم ، مما جعل مكة تتبوأ مكانة الريادة العلمية ..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، ،

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم .

٢- إبراهيم القادري بوتشيش : العلماء المجاورون بمكة ، نموذج للملتقيات العلمية بمكة عاصمة الثقافة الإسلامية في العصر الوسيط ، بحث ألقي في ندوة الحج الكبرى عام ١٤٢٣هـ .

٣- إبراهيم المشيقح : تاريخ أم القرى ومكانة المرأة العلمية من خلال الدر الكمين لابن فهد ، ط١ ، القصيم ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م .

٤- إبراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط ، إحياء التراث العربي ، طهران، د . ت .

٥- ابن منظور : لسان العرب ، طبعة دار المعارف ، القاهرة ، مجلد ٢ ، ١٤٢٣هـ .

٦- أحمد السباعي : تاريخ مكة ، ط١ ، مطابع قريش ، مكة ، ١٣٨٣هـ/١٩٦٧م.

٧- أحمد بن علي المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق : محمد مصطفى زيادة ، ط٢ ، لجنة التأليف ، القاهرة ، ١٩٥٦م .

٨- أميرة علي مداح : النشاط العلمي والتعليمي في مكة المكرمة في العصر العثماني ، إتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م .

٩- بندر محمد رشيد الهمزاني : علاقات مكة المكرمة الخارجية في عهد أسرة الهواشم ، رسالة ماجستير نوقشت بجامعة أم القرى ،

مكة المكرمة ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .

١٠- تقي الدين الفاس ت٨٣٢هـ : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق : محمد عبد القادر أحمد عطا ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م .

١١- : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، جـ١ ، ط١، حققه لجنة من كبار العلماء والأدباء ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ت .

١٢- تقي الدين عبد القادر التميمي الداري : الطبقة السنية في تراجم الحنفية ، تحقيق : عبد الفتاح الحلو ، دار الرفاعي للنشر ، الرياض ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

١٣- جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغربردي ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م : الدليل الشافي على المنهل الصافي ، تحقيق : فهيم شلتوت ، جامعة أم القرى ، مكة ، د . ت .

١٤- حسن الوراكلي : المجاورون الأندلسيون ومساهمتهم في تشكيل صورة مكة العالمة ، بحث ألقي في ندوة الحج الكبرى ، مكة عام ١٤٢٣هـ .

١٥- حسين عبد العزيز شافعي : الأربطة بمكة المكرمة في العهد العثماني ، رسالة دكتوراه بأم القرى ، مكة ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م

١٦- حمد الجاسر : أشهر رحلات الحج ، ملخص رحلتي ابن عبد السلام الدرعي ، دار الرفاعي ، الرياض ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

١٧- خير الدين الزركلي : الإعلام ، ط٥ ، العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٠م .

١٨- سهيل صابان : المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م .

١٩- ضياء قازيجي : خدمات الدولة العثمانية للحرمين الشريفين ، المجلة التاريخية المغربية ، س١٢ ، العددان ، ٣٩ ، ٤٠ ، ديسمبر ١٩٨٥م .

٢٠- الطاهر أحمد الزاوي : ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

٢١- عائشة عبد الله باقاسي : بلاد الحجاز في العصر الأيوبي ، ط١ ، نادي مكة الثقافي ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

٢٢- عائض الردادي : الأسرة الطبرية ، ط١ ، دار الرفاعي ، الرياض، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

٢٣- عائض محمد الزهراني : التاريخ السياسي والحضاري لمكة المكرمة من خلال كتاب نيل المنى ، رسالة ماجستير نوقشت بجامعة أم القرى عام ١٤١٩هـ .

٢٤- عبد الحي بن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الفكر ، د.م.ن ، د.ت.ن .

٢٥- عبد الرحمن صالح عبد الله : تاريخ التعليم في مكة المكرمة ، ط١ ، دار الفكر ، د.م.ن ، ١٣٩٢هـ/١٩٧٣م .

٢٦- عبد القادر بن محمد بن يحيى الطبري : إنباء البرية بالأنباء الطبرية ، ميكروفيلم ، معهد إحياء التراث الإسلامي ، جامعة أم القرى ، مكة ، رقم١٨٣٨ .

٢٧- عبد الكريم بن محب الدين القطبي : إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام، علق عليه أحمد محمد جمال وعبد العزيز الرفاعي وعبد الله الجبوري، دار الرفاعي ، الرياض ، ١٤٠٣هـ .

٢٨- عبد الله الغازي : نظم الدرر في اختصار نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى الرابع عشر ، نسخة مصورة ميكروفيلم ، رقم ٣٥٧٣ ، مكتبة نصيف ، جدة .

٢٩- عبد الله بن عبد الرحمن المعلمي : إعلام المكيين من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر الهجري ، ط١ ، دار الفرقان ، مكة ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م .

٣٠- عبد الله مرداد : المختصر من كتاب نشر النور والزهر ، دراسة وتحقيق : محمد سعيد العامودي وأحمد علي الكاظمي ، ط٢ ، عالم المعرفة ، جدة ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

٣١- عبد الملك العصامي : النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، المطبعة السلفية ، القاهرة، ١٣٧٩هـ .

٣٢- العربي سالم الشريف : مكة والمجاورون الآندلسيون من العلماء

والفقهاء والقراء عبر التاريخ ، بحث ألقي في ندوة الحج الكبرى، مكة ، ١٤٢٣هـ .

٣٣- العز بن عبد العزيز بن عمر بن فهد القرشي ت٩٢٢هـ : بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، القسم الثالث ، تحقيق ودراسة : عبد الرحمن حسين أبو الخيور ، رسالة ماجستير لم تنشر بجامعة أم القرى ، مكة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م .

٣٤- : بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، القسم الثاني ، تحقيق ودراسة : عليان المحلبدي ، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى ، مكة ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٠م .

٣٥- علي بن تاج الدين السنجاري : منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم ، دراسة وتحقيق : ماجدة زكريا ، مركز البحوث بجامعة أم القرى ، ط١ ، مكة ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م .

٣٦- علي حسين السليمان : العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك ، الشركة المتحدة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .

٣٧- علي عبد القادر الطبري : الأرج المسكي في التاريخ المكي وتراجم الملوك والخلفاء ، مخطوط بمكتبة الحرم ، رقم ٣ د تاريخ .

٣٨- عمار جحيدر : الفقيه المكي المالكي محمد بن محمد الحطاب

٩٠٢- ٩٥٤هـ/١٤٩٧- ١٥٤٧م ، بحث ألقي في ندوة الحج الكبرى ، مكة ، ١٤٢٣هـ.

٣٩- قطب الدين النهروالي ٩١٧- ٩٩٠هـ : الإعلام بأعلام بيت الله الحرام – مكتبة الخياط – بيروت ، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م .

٤٠- : البرق اليماني في الفتح العثماني ، ط١ ، دار اليمامة للنشر ، الرياض ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .

٤١- لمياء أحمد شافعي : ابن حجر المكي وجهوده في الكتابة التاريخية ، ط١ ، مكتبة الغد ، القاهرة ، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م .

٤٢- محب الدين الطبري : القرى لقاصد أم القرى ، البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .

٤٣- محمد أديب غالب : من أخبار الحجاز ونجد من تاريخ الجبرتي – دار تهامة للنشر ، الرياض ، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .

٤٤- محمد الحبيب الهيلة : التاريخ والمؤرخون ، ط١ ، مؤسسة الفرقان ، مكة ، ١٩٩٤م .

٤٥- : أثر الحج في الحياة الثقافية والاجتماعية عبر العصور ، بحث ألقي في ندوة الحج الكبرى ، مكة ، ١٤٢٤هـ .

٤٦- محمد أمين فضل الله المحبي : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، ط١ ، دار صادر ، بيروت ، د . ت .

٤٧- محمد بن أحمد الصباغ : تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام

والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام ، مخطوط بمكتبة الحرم رقم ١١١ تاريخ.

٤٨- محمد بن أحمد بن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ط٢ ، البابي الحلبي ، القاهرة، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م .

٤٩- محمد بن عبد الرحمن السخاوي ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع – مكتبة الحياة – بيروت ، د . ت .

٥٠- محمد بن علي الشوكاني : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، ط١ ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٤٨هـ .

٥١- محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة : سنن ابن ماجة ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، بيروت ، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .

٥٢- محمد صلاح البكري : الحجاز ٨٥٩- ٩٢٣هـ/١٤٥٤- ١٥١٧م رسالة ماجستير بجامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

٥٣- محمد مرتضى الزبيدي : تاج العروس ، المطبعة الخيرية ، الجمالية ، القاهرة ، ١٣٠٦هـ ، نشر دار ليبيا للنشر ، بنغازي .

٥٤- محي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروس : النور السافر في أخبار القرن العاشر ، المكتبة العربية ، بغداد ، ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م .

٥٥- المنجد الأبجدي : ط٤ ، دار المشرق ، بيروت ، د.ت.ن.

٥٦- المنجد في اللغة والأعلام ، ط٢٧ ، ١٩٨٤م ، منشورات دار الشروق ، بيروت .

٥٧- منى حسين آل مشاري : المجاورين في مكة والمدينة في العصر المملوكي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٤٠٩هـ.

٥٨- ناجي معروف : المدارس الشرابية– واسط – بغداد – مكة ، ط٢ ، بغداد ، د.ن ، ١٩٧٥م.

٥٩- نجم الدين الغزي : الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ، حققه وضبطه ، جبرائيل سليمان جبور ، ط٢ ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٧٩م .

المراجع العثمانية المعربة :

١- إسماعيل حقي جارشلي : أشراف مكة المكرمة وأمرائها في العصر العثماني ، ترجمة : خليل علي مراد ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م .

٢- أوليا جلبي : الرحلة الحجازية ، ترجمة : أحمد الصفصافي ، دار الوفاق العربية ، القاهرة ، ١٩٩٩م .

٣- أيوب باشا صبري : موسوعة مرآة الحرمين وجزيرة العرب ، ط١ ، ترجمة ماجدة مخلوف وآخرون ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م .

٤- محمد الأمين المكي : خدمات العثمانيين في الحرمين الشريفين ومناسك الحج ، ترجمة : ماجدة مخلوف ، ترجمة غير منشورة .



مطابع جامعة أم القرى